ترجمة منتخبات من الأدب السوداني

Translation of selected Works from Sudanese Literature

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في الترجمة

إعداد :

عادل صديق إبراهيم بابكر

إشراف:
د. محمود علي أحمد

٢٠١٥م

قائمة المحتويات

- **مستخلص البحث**
- **مقدمة البحث**
- **القصائد**
  - معلقة الإشارات - محمد عبد الحي
  - مزرعة في الجبل - محمد المكي إبراهيم
  - آسيا وأفريقيا - تاج السر الحسن
  - في ربيع الحب - إدريس جماع
  - مدن عينيك – عبد القادر الكتيابي
  - صمت الوردة - فضيلي جماع

- القصص القصيرة
  - رسالة إلى جيني آن - علي المك
  - حملة عبد القيوم الانتقامية - بشرى الفاضل
  - عودة الجدة وردة - كمال الجزولي
  - أنا، الأخرى وأمي - عبد العزيز بركة ساكن

مستخلص البحث

اهتمهذا البحث بترجمة نماذج مختلفةمن الأدب السوداني، شعره وسرده، عبر أجيال وحقب زمانية مختلفة لتقديم لمحات عن الرصيد الإبداعي السوداني بذخيرتهالجمالية والفكرية، بهدف المساهمة في تسليط الضوء على الأدب السوداني وتعزيز حضوره في الساحة الثقافية العالمية وإخراجه مندائرة الانغلاق. يتضمن البحث ترجمة لمجموعة من القصائد والقصص القصيرة لأدباء سودانيين روعي فيها أن تأتي متنوعة قدر الإمكان بحيث ترسم ملامح عن المشهد الأدبي في سودان ما بعد الاستقلال. تراوحت القصائد زمنياً ما بين خمسينيات القرن الماضي وحتى العقد الأول من الألفية الثالثة. كما تنوعت في مواضيعها ما بين الشعر الوطني (كما في قصيدة آسيا وأفريقيا لتاج السر الحسن)، والصوفي الفلسفي (كنموذج "معلقة الإشارات" لمحمد عبد الحي)، والعاطفي (كقصائد لمحمد المكي إبراهيم وإدريس جماع وفضيلي جماع وعبد القادر الكتيابي). وينطبق ذات الوضع على منتخبات القصص القصيرة حيث تتنوع ما بين علي المك، أحد أساطين فن القص وفرسانه منذ ستينيات القرن الماضي، حتى عبد العزيز بركة ساكن الذي لمع اسمه في العقد الماضي، وبين هذا وذاك هنالك قصتان لبشرى الفاضلوكمال الجزولي، كتبتا في السبعينيات.

مقدمة البحث

ظلت الترجمة، على مرِّ التاريخ، تلعب دوراً محورياً لا في توثيق ثقافة الأمم ورصيدها الحضاري فحسب بل أيضاً في التجسير الثقافي والتبادل والتلاقح الإنساني بأبعاده الأدبية والفكرية والعلمية. وقد احتفت الأمم السابقة والمتأخرة بالترجمة وأولتها عناية فائقة ورصدت لها الميزانيات الضخمة ونظمت الجوائز العالمية. وحظيت الترجمة الأدبية، على وجه خاص، بنصيب وافر من هذا الاهتمام. فمن خلال الترجمة تعرف العالم على آداب الفرس وأساطير اليونان ومسرحهم وإبداعات الأدب الروسي في عصوره الذهبية. وفي العصر الحديث، نقل كم هائل من الأعمال الروائية والشعرية إلى كل اللغات الحية.

والناظر في الآثار الأدبية المترجمة من العربية لا يلمح أثراً للمنتج الإبداعي السوداني على الرغم من ثرائه وتنوعه. فنحن لا نكاد نجد لأدبنا وجود في اللغات الأخرى سوى أعمال الطيب صالح، وبعض الترجمات هنا وهناك. وأياً كانت الأسباب وراء ذلك فهو قصور حري بنا النهوض لتداركه لكي نلحق بهذا الركب الذي لا تتوقف مسيرته.

أهمية البحث

يكتسب هذا المبحث أهميته مما يلي:

- تعتبر الترجمة من أنجع الوسائل لمعالجة حالة الانغلاق التي يعانيها أدبنا السوداني
- اتاحة ترجمة للمنجز الأدبي والإبداعي السوداني في أفق المعارف الإنسانية بما يتيح التعرفعلى ملامح الشخصية القومية السودانية ومعطياتها الإنسانية وخصوصيتها الثقافية
- المنجز الإبداعي والأدبي يمثل حقلاً استراتيجياً يتقاطع فيه المعرفي والحياتي والسياسيوبالتالي فمن الضروري تحويل الرصيد الإبداعي السودانيإلى محتوى تفاعلي عالمي يتيح إمكانيات التواصل والتبادلوالتلاقح مع الثقافات المختلفة.

أهداف البحث

يهدف مشروع البحث إلى ما يلي:

- تسليط الضوء على المنجز الإبداعي السوداني وتمكينه من الحضور عبر الفضاء الثقافي العالمي

- إضاءة ملامح الشخصية السودانية بما ينطوي عليه الرصيد الأدبي والإبداعي من مضامينوتصورات واتجاهاتتلقي بدورها الضوء على حياة الفرد وهويته وكينونته وتكوينه النفسي والوجداني وتساؤلاته وتطلعاته
- إخراج ذلك المنجز من المحدودية والانغلاق والخمود وتوجيهه إلى آفاق إنسانية كونية تتيح الترافد والتلاقح
- القيمة التوثيقية في جعل ذلك الرصيد حاضراً في دوائر البحث والاستقصاء والنقد والتحليل
- تسخير الترجمة كرافعة أساسية من روافع النهوضالحضاري بجعل المنتج الإبداعي والأدبي والفكري حاضراً في قلب المحفل الثقافي الإنساني
- الدور الذي تلعبه الترجمة كذلك في تحقيق الغايات الثقافية الكبرى والاشتراك في رسم الاتجاهات العامةلمرتكزات الوعي المجتمعي في مختلف تجلياته وإسقاطاته التي يعكسها الرصيد الإبداعي للأمة
- ما توفره ترجمة الأدب من رصيد حضاري يمثل معياراً أساسياً للحالة الحياتيةعبر الماضي والراهن والمستقبل برسمه صوراً جلية للواقع المجتمعي والقيم السائدة التوجهاتوالتيارات الفكرية والخبرات ومتغيرات الحياة وتحدياتها
- كل ذلك يساهم بفعالية في استثمار ترجمة الرصيد الإبداعي والثقافي في تكوين تصور موضوعي للثقافة السودانية وملامح الشخصية السودانية
- كذلك إيقاظ الدوافع الذاتية للمبدع السوداني واستنفار طاقاته الكامنة بإدراكه أن منجزه الإبداعي يلقى الاهتمام والتقديراللائقويمتلك القدرة على الحضور في الأفق الإنساني الأشمل

خاتمة

لتحقيق هذه الأهداف اهتم هذا البحث بترجمة أنساق مختلفةمن الأدب السوداني، شعره وسرده، عبر أجيال وحقب زمانية مختلفة لتقديم لمحات عن الرصيد الإبداعي السوداني بذخيرته الجمالية والفكرية وصوره وخواصه الأسلوبية وكثافته اللغوية والدلالية.

القصائد

معلقة الإشارات

(قصيدة نبوية في مقام الشعر والتاريـخ)

محمد عبد الحي

١ إشَــارَة آدَميَّـــة

بالأسْمَاء

نَسْتَدْعي العَالَم من فَوْضَاه:

البَحرُ. الصّحْرَاءْ .

الحَجَرُ.الرّيحُ.الماءْ .

الشّجَرُ.النارُ.الأُنْثَى .

والظّلْمَةُ. والأضواءْ .

ويجيءُ اللهُ

مُلتَفّاً بالأسْمَاءِ الحُسْنى – بالأسْمَاءْ .

هَذا مولِدُ رؤياه

2 إشـــارة نوحِّيـــة:

أكادُ أنْ أصْرُخَ في وجه الإلٰه

كيف استَرحْتَ بعد أن أَطلقتَ من عقالهِ رُعبَ المَياهْ

على حُقولٍ زُرِعَتْ بقطراتِ عَرَقِ الجَبينْ

عَبْرَ مَفَازَة السنينْ

شريحةً من خُضْرَةٍ من بين فكَّي أَسَد المَحْلِ؟ ..

لِمَاذا يبدأ المتاهْ

ثانيةً ؟ لكنَّني أقولْ .

وكلُّ شيءٍ مالَ للأفولْ :

يا برقُ أبرقْ في دُجَى غَضَبِه لكي تنيرَ هذه القصَيْدَه :

المرْكَبَ الحُبلَى بكلّ ضعْفنا وشوقنا لأرضِنا القديمة الجديدة.

3 إشَارَة ابراهيميّـــة:

هل سَيأتي؟

هل سيأتي عبر ليلِ الكَلامِ؟

عَن صَمتِ الكَلامِ والوردةِ الكوكبية
في مركز الليّلْ
لامعاً مثلَ صَفحَة السَّيفِ في لحمِ الظّلامِ؟
هلْ سيأتي ملاكُكَ الآخرُ الليلةَ ؟ اسمع !
صَرخةُ الصَّقْر ، والنّشائج الوحشية .
رغوة من دماء كبشٍ ذبيحٍ في بروجِ النُّجوْم .
وخيول نوريّة في الغيوْم
لغة في الرياحِ من لهبٍ أخضرٍ على الأشجَارْ
طائرُ الليلِ هارباً يستحيلُ رَماداً
في مرايا النَّارْ

4 إشارَة موسَويَّة :

الرَمادْ
في الصباحِ البكرِ يلتمُّ ويعلُو
شجراً أخضرَ في النور النَّقي
ثمراً أحمرَ في الغُصْنِ النَّدى
طائراً أبيضَ ، ينبوعاً سَخْي
كلُّ شيْء
حُلُم يخبر عن أرضِ المَعادْ

5 إشارَة عيسَوية :

هذا رنينُ قدَمِ الفجر على التّلال والأشجارْ
يخبرُ كيفَ مرَّت الرِّياحُ على القيثارْ
واعتنقَ الملاكُ والعذراءْ
تحتَ سُقوف النّارْ
وضَجَّةِ الشارعِ والغبارْ –
وافترقا
إلى سمائه ، وهي إلى جَسَدِها المقهُورْ
وبدأتْ أغنيةُ الدمِ التي تضئ في حنجرةِ العُصْفورْ

6 إشارَة محَمَّديَّــة :

فاجأتْنا الحَديقةْ

فاجأتْنا الحَديقةُ انعقَدتْ وَرْداً وَناراً في قلبِهَا الأضْواءُ

والخيولُ النُّوريَّة البيضَاءُ

والطَّواويسُ نَثَّرتْ في بِلاد الصَّحوِ ريشاً مُنَسَّجاً

كلُّ شيءٍ في غصونِ الحقيقَةْ

آسُ نارٍ ، وموجَة في بِحَارٍ عَميقةْ

منْ لهيبٍ ومن جَمالٍ ويُمْنِ

يَسقطُ الطَّيرُ قبْلَ أن يُدركَ السَّاحِلَ منهَا

مُستَقبلاً في ابتهاجٍ حَريقَهْ .

فاجَأتنا الحَديقة الزَّهْراءُ

أشرقَتْ في مَركَزِها القُبةُ الخَضْراءُ

وتوالَتْ بُشرى الهَواتفِ أنْ قَدْ وُلِدَ المصطَفى وحقَّ الهَنَاءُ ،

واكتَسَتْ بالنُّورِ الجَديدِ من الشمسِ ابتهاجاً وغنَّتْ الأسْماءُ .

إشَارة

شَمس مِنَ العُشْبِ وَوَرَقَاوانْ

تُغَنِّيانْ

قبلَ بداية الزَّمانْ

بَعْدَ نهَايةِ الزَّمانْ

تَحْتَرِقَانْ

عَلى فُروعِ البَانْ

مزرعة في الجبل

محمد المكي إبراهيم

قبل أن تولدي
وتصيري مزرعة في الجبل
كنت مأوى الثعالب
هاربة من كلاب السفوح
ومأوى العصافير
تجدل أعشاشها في الشجر
كان ماء السماء
يرطب خديك عاماً بعد عام
ويبسط شال المراعي على منكبيك
وفي الصيف كانوا يجيئون
يحتطبونك
والموت يسعى إليك
بينما أنت صامدة كالعقيدة
بالشمس والريح تُجلد
الحجارة من فوق نهديك
تحمى وتبرد
دون أن تفلتي آهة
أو تفوهي كفراً
كان ذلك من قبل أن نلتقي
وتصيري أما وحقلاً
قبل أن يرحل الصيف
صفّفت شعرك
والصخر دحرجت عن منكبيك
ثم أعليت حولك سوراً
وأنهضت سداً
وألقيت في الأرض بئراً
وأعددت للزرع مهداً
وأجريت فيك الجلول طولاً وعرضاً

وهيأت متكأً للمقيل
كل ذلك والشمس
واقفة في عمود السماء
وسائلة في الحجر
والرياح تحدد أظفارها
ثم تضرب وجه الجبل
والسماء الكبيرة فارغة
والخريف بعيد .

❁❁❁❁

ذلك الصيف أقسمتُ
لن يسلبوا شعرةً ..
من جدائلك المرسلة
لو يجيئون في الفجر يلقونني
واذا استتروا بالظلاْم
وجدوا السور حولك والبسملة

❁❁❁❁

رأى السهل ..
أنك مجلوة للزفافِ ..
فأدرك أنك موعودة للمطر
وأنك أصبحت محسودة
من بنات السفوح
ومحسودة من بنات الجبل
وفي الدغل راحوا يقولون:
إن العصافير تجمع أثواب عرسك
من كل فج عميق
وتنقش حناء كفيك
بالورد والسنبلة
ويروون أن الغمائم
صارت تظللنا طيلة الوقت
من غضب الشمس والقائلة
وفى الليل تزجي إليك الندى

بمظلات وردية اللون
يهبط فوق مدارج نهديك
أو يتناثر فوق حزام القمر
عند ذلك يدخلني وعي
أنك عذراء
تتكئين على مُخمل الرمل
في المنحدر
وأنك لاهثة النهد ، محلولة الثوب
تنتظرين المطر
وأنك أم لأطفال حبي
ومزرعتي في الجبل
فأوقن أنك لو نزل الغيث
واكتست الأرض بالخضرة الزائفة
ستبدين مثقلة بالثمر
وبالشجر السيد المنتظر
وتغدين روضاً من الزهر والفاكهة
وفى الصيف
حين تجف النواحي
وترتجف الأرض كالخائفة
تظلين خضراء
حسناء
مثقلة بالثمْر
تظلين مزرعتي في الجبل

آسيا وأفريقيا

تاج السر الحسن

عندما أعزف يا قلبي الأناشيد القديمة
ويطل الفجر في قلبي على أجنح غيمة
سأغني آخر المقطع للأرض الحميمة
للظلال الزرق في غابات كينيا والملايو
للمنارات التي شيدها أول مايو
لليالي الفرح الخضراء في الصين الجديدة
والتي أعزف في قلبي لها ألف قصيدة
لرفاقي في البلاد الآسيوية
للملايوولباندونج الفتية
يا ديان فو
أرضنا للنور والأزهار تهفو
مشهد القلعة ما زال بعيني معلق
والأعادي جثثاً في صخرها الأزرق تشنق
يا ديان فو
قد رأيت الآن جنديا مغطى بالدماء
قلبه الأحمر كالوردة ملقى في الفضاء
كان من باريس لكن مات قهراً
في ديان فو
لست أدريا رفاقي
فانا ما زرت يوما اندونيسيا
أرض سوكارنو ولا شاهدت روسيا
غير أني
والسنا في أرض إفريقيا الجديدة
والدجي يشرب من ضوء النجيمات البعيدة
قد رأيت الناس في قلب الملايو
كالمنارات التي شيدها أول مايو

مثل ما شاهدت جومو
مثلما امتد كضوء الفجر يوم
انت يا غابات كينيا يا ازاهر
يا نجوما سمقت مثل المنائر
يا جزائر
ها هنا يختلط القوس الموشى
من كل دار وكل ممشى
نتلاقى كالرياح الاسيوية
كأناشيد الجيوش المغربية
مصر يا اخت بلادي يا شقيقة
يا رياضا عذبة النبع وريقة
يا حقيقة

في ربيع الحب

إدريس جماع

في ربيع الحب كنا
نتساقى ونغنى
نتناجى ونناجى الطير
من غصن لغصن
ثم ضاع الأمس منى
وانطوى بالقلب حسرة..

أننا طيفان في ماء
سماوي سرينا
واعتصرنا نشوة العمر
ولكن ما ارتوينا
انه الحب فلا تسأل
ولا تعتب علينا
كانت الجنة مسرانا
فضاعت من يدينا
ثم ضاع الأمس منى
وانطوى بالقلب حسرة..

أطلقت روحي من الأشجان
ما كان سجينا
أنا ذوبت فؤادي
لك لحنا وأنينا
فارحمي العود
إذا غنى بي لحنا حزينا

ليس لي غير ابتساماتك

من زاد وخمر
بسمة منك تشع النور
في ظلمات دهري
وتعيد الماء والأزهار
في صحراء عمري

مدن عينيك

عبد القادر الكتيابي

لمحتك
قلت بر آمن .. بديت أحلم
ألملم قدرتى الباقية
وأشد ساعد على المجداف
تلّوح لى .. مدن عينيك
وترفع لى منارة بسمتك .. سارية
وبديت أحلم
***
كل ما الريح .. تطارد الموج
أزيد إصرار وأحلف بيك
أغير سكة التيار
وأقول يا إنتى .. يا أغرق
أخاف
غيم المنى الشايل
تسوقو الريح .. ويتفرق
أخاف .. وأخاف
***
وأشد ساعد على المجداف
وأجيك بى قدرتى الباقية
حطام إنسان موسّم بى شقا الدنيا
ومقسّم قلبو في الأحزان
أجيك فنان
أشد أوتارى .. وأحكيلك
حكاية إنسان وهب لى سكتك نفسو
ورسم صورتك على حسّو
وربط ساعد على المجداف
وقال يا إنتى يا أغرق
أخاف

الضفة ترجع بيك قَبـ ُل ألحق
أخاف
غيم المنى الشايل
تسوقو الريح وإتفرق
وألاقيك يا أمانى سراب
مواهبى عليهو تتدفـ ّق

صمت الوردة

فضيلي جماع

كان الخوفُ يحاصِرها
فمشَيْتُ على أمشاطي..
كي أتسلّقَ صمْتَ الوردِة
أحبِسُ أنفاسي:
يا وردة
أعرِفُ أنّك تنتظرين
خيْطَ الضوْءِ الخارجِ منتشياً..
من عتْمةِ ليلْ!
وأنّك تنتظرين شُعاعَ الشّمس
ودَوْزنةَ المطرِ الناعِمِ
يغسل هام الشجر اليابس والأكواخِ
ويروِي – بعْدَ جحيمِ الصيفِ–
فِجاجَ الأرضْ!
كأنّك يا زرقاءَ يمامتنا
أبصرْتِ بعْينِ القلْبِ
زماناً يرقصُ فيه العُشْبُ
ويهْدُرُ في شريانِ شوارِعنا..
إيقاعُ النبضْ!
أبصرتِ بعْينِ القلْبِ
حقول الدخن..
وضحكة فلاحين
وضَرْعاً درّ حليباً للأطفالِ
وصبحاً حُلْو النسمةِ
يعقب ليل الجوعْ!
وأنتِ شذاكِ ..
بُرغْمِ حصارِ الخوفِ يضوع!
في صمتك سر السرِّ

و خلْفَ الصمتِ الناطقِ
تنتصرين على سلطان الخوْف!
فيفقد سطوته
ويبارِح دونَ رجوع!

القصص القصيرة

رسالة إلى جيني آن

قصة قصيرة بقلم الأديب السوداني الراحل علي المك

كتبتُ لك هذا الخطاب في ذ هني مرات، مسحته، أعدتُ كتابته، مسحته ثم أعدتُ كتابته وألحَّ علّي، صرت أنطقه لنفسي نطقاً، وأهمسه لنفسي همساً، وقد كنت أظن قبل اليوم أن آثار الجرح القديم قد انمحت، وأن بقايا الأوصاب قد عفا عليها الزمن، وأني أخذت نفسي بشدة لم تعتد عليها نفسي، كل هذا لأني أريد أن أجعل نفسي عائشاً في الواقع وليس من حوله.

تلقيتُ رسالتك، أحسستُ أنها – الرسالة – لفرط ما سافرتْ في الجو، عبر الأقطار والأنهار والبحار: منهكةٌ، وأنها متعبةٌ وأنها تنتظر ملهوفة أن أفضها فتحكي لي رسالتها، وتتمزق بين أصابعي شهيدة. وأخذتها باهتمام، فأنا دائماً أحافظ على رسائلك، ولا أقرؤها إلا في البيت حين أكون وحدي، أنا والرسالة والسماء والأرض التي من موضعي عليها أرى السماء وما عليها.

في ذلك اليوم كان في السماء غبار كثيف، بدأ بلون ترابي، وصار إلى ستة الوان حين بلغ أشدَّه.. وقرأت ثم قرأت.. ولم يكن هناك شيء كثير فيقرأ: بطاقة دعوة لزواجك! ولأول مرة أعرف أن اسمك الكامل هو (جيني آن)، إننا نتعلم كل يوم شيئاً جديداً، ولهذا وحده يمكن لنا أن نستمر في الحياة.

عزيزتي جيني آن..

أذكرها، الليلة الممطرة، كان المطر عنيفاً، وكان ماؤه بارداً، وكنت ارتجف منهما: البرد والليل. فأنا لا أحب الليل كثيراً، لأنه من صلب الخوف والحزن، وقد يخيل إلّى أحياناً أن ظلامه لن يرتفع عن السماء والأرض، وأن الدنيا كلها تموت وتفنى وأن وأن..

نعم إني أذكرها الليلة الممطرة... والماء السماوي البارد يغسل كل شيء، وأنا أسير تحت رحمته بارداً وساخناً، بارداً بأثر مياهه وساخناً بالأمل في أن ألقاك، وهذا الاحساس البارد والساخن هو الذي مكنني أن أسير وأسير، وأن أصعد السلم بدرجاته وأنا ألهث.. شبحٌ أسود في مطر غزير، والناس احتمت ببيوتها، وأنا كما تعلمين أكره المطر – أقول لك الحق: أنا أكره الفصول جميعاً ! في مثل هذا الجو تمتزج ألوان الناس، يمسي الأسود بلا سواد، والأبيض بلا بياض، ويبقى الانسان الحقيقة، العظم لا لون له والجلد لا لون له. اللون الاحساس والعاطفة والحب والبغض والانفعال. سرنا تحت المظلة – أنت وأنا – روح تحتمي بروح، والماء المتساقط يسقط علينا لسعة برودته تؤثر فيك وفيَّ بذات القدر. قلت لك إني أكره المطر؟ كاذب أنا، فاللحظة أعشق المطر أحبه.

وما جدوى أن نسير معاً، ونركض معاً ، ونلهث معاً، ونهرول ونخاف معاً، ونحب ذات الأشياء: فريق (بوسطن) لكرة السلة وفريق (الدودجرز) للبيسبول وسير (لورانس أوليفييه) و(إيلافيتزجرالد) وكونشيرتو البيانو الرابع والعشرين لموتسارت، وموتسارت كله، جميعه، كل ما كتب وابدع وخلق.
لماذا هذه الأشياء بالتحديد؟ الآن أعرف لماذا؟ فريق بوسطن لم يهزم، ولورانس أوليفييه على عرش العروش في القمة، وإيلافيتزجرالد صوت الملائكة في صلوات السماء، وصوت المحزونين في مزارع القطن، وآهات المستجيرين من العذاب في سجن (سنقس سنق) و(سان كونتين). لماذا موتسارت؟ لأنه انتصر برغم أنه مات في الخامسة والثلاثين، وأبدع في الفن الموسيقي آيات رائعات.

ونحن ما نحن؟ – أنت وأنا هُزمنا قبل أن نبدأ، أجل هُزمنا قبل ان نبدأ. هُزمنا يوم اعترفنا أن المجتمع هناك يكره أن يرى فتاة بيضاء وفتى أسود، وخضعنا له، كيف خضعنا له؟ خضعنا له لأننا لم نتحداه. تقولين "في الجنوب الأمريكي نضرب ونعذب وقبلها بسنين ليست بعيدة تشنق أنت على شجرة.. ولكن الغرب منافق يبتسم بالرغم عنه، يدعي أنه يبارك العلاقة، وهو في الواقع يلعنها ويكره لها أن تستمر.. أترى الفرق الآن؟"

وإني لا أرى فرقاً بين الغرب والجنوب، فالنهاية واحدة كما ترين، فالحب يحيا بالحرية، يتنفس بالحرية، ينمو بالحرية، ولكنه ههنا في الغرب أم هناك في الجنوب يموت باللعنات والنظرات والمشانق. لا يهم مطلقاً أبداً لا يهم. فالذي يموت هو الحب، باللعنات يموت، كما يقضي بالمشانق.

الآن عرفت، عرفت، عرفت، لماذا انهزمنا، وحملت أنا حقائبي وسرت إلى أبعد مما تتصورين، نزلت بلدي في أفريقيا، فالليل المظلم من حولي الليلة، نهار ساطع الشمس في كاليفورنيا.. وعلى الشاطئ الرملي في (سانتامونيكا) والقهوة والشاي في (القولدن كراون). وألف الف شيء.

حملتُ حقائبي أنا ثم رحلت، أنت تعلمين أن القمر جميل جداً على الشاطئ الرملي في سانتامونيكا، ولكنه الليلة في بلدي غير بازغ، فأي تعاسة هذه! وأي حظ ذاك الذي جعل بيننا ألوف الأميال من الصحارى والجبال والوديان والبحار!

مبروك جيني آن.. عزيزتي: جميل جداً أن تختاري زوجاً من أهلك، جميل أن تصلي لقرار في موضوع ما. لأول مرة أكتب لك خطاباً قصيراً وأقطع علاقتي بك.

وصبرت صبرتصبرت، ولكني تذكرتك اللحظة، الآن، الليلة، لماذا! ألأني استمتعت إلى كونشيرتو البيانو الرابع والعشرين لموتسارت! أم لأني شعرت أن الهزيمة كانت أكبر مني ومنك.... ربما ولكني قررت أن أكتب إليك. إنسان يكتب لإنسان.

الطوابع على المظروف سوداء، إذن فلون الهزيمة لم ينهزم بعد، ولهذا أيضاً مزقت كتابي إليك وأعدت كتابته في ذهني مرات، قرأته لنفسي وسيكون مسرحه الذهن ولن يسافر إليك فيشقى بغربته وتشقين به والسلام.

حملة عبد القيوم الانتقامية

بشرى الفاضل..

قف! هذه نوافير من السائل الأحمر تْرشح من المداخل والمخارج، وأخرى تنز من البطن المبقورة، هل هصرت الطعام يوماً في عيني جارك في مطعم عام حتى سال أكسير حياتها؟ ذلك حال جسد عبد القيوم (ساعة شؤم) رمت به راجلاً في طريق عام وهو الراكب شبابه كله، يصرخ المرء – يقولون – ثلاثاً ولكن عبد القيوم يصرخ بلا حصر: في المظاهرات والعراك والسُّكْر وصرخة أخيرة حين دهسته العربة الزيتية ذلك المساء. كانت أمه وهو طفل ترسله للسوق صباحاً فيعود محملاً بالزيت والسكر وأماني السفر للبعيد المجهول. صوت العربات، موسيقاه البدائية الابتدائية: رن رن ترن ترن – رن... يدنو من الواحدة منها ويتغزّل كما لم يفعل أبي ربيعة في النساء.

عبد القيوم لا يعجبه القمح الذي يعجب أولاد حاج التوم ولا زراعة الفاصوليا التي تعجب أولاد زكية. ولا السباحة التي يغرم بها خليفة ود حسب الله، ولكن عربة ذات سفرة جذبته إليها فأذعن.. اقترب من سائقها واتفق معه على السفر المجاني على أن يقوم برمي (الصّاجات) كلما غرقت العربة وكان الرمل بحراً.

– كيف يا ولدي تشتغل في الحديد؟ ما فيهو أمان. يا ولدي الله يهديك.

– يا با إن داير صالحي باركا. الناس كلهم شغّالين الحصل ليهم شنو؟

وكان ما كان فهذا زمن تتناقص فيه السلطات الأبوية المطلقة. ودعه أبوه بصوته كأنه خارج من بئر. وودعته أمه بصحن زاد وصحن دموع.. ورجعا لمنزل قلت فئرانه. شهر وآخر وعبد القيوم يروح ويجيء مثل ثور ساقية كوني يتم دورته في ثلاث ليال بدلاً من عن ثلاث دقائق ولكن الدموع والدعوات وصحن الزاد لا تنقطع.

وفي إحدى أوباته أخطر والديه بأنه تعلّم، وأن هذه المرة ستكون الأخيرة في رحلات الذهاب والإياب الأسبوعية وأن العمل في الخرطوم راقد على قفاه وهكذا كانت مشيئته لا رد غير غزير الدموع ومطر الدعوات الحزينة..

لم يمض شهر حتى أرسل عبد القيوم ثلاث جنيهات ولم يمض شهران حتى أرسل جنيهين ونصف وهكذا ظل ما يرسله يتناقص عكسياً مع تأقلمه الجديد في المدينة ولهوها. ومع هذا فإن الدعوات المنكسرة من والديه لم تنقص واحدة. ثم كان ما كان من أمر العربة الزيتية – الناس

تجمهرت حول الجثة وتوقف القاتل مرتبكاً فكان يبدو خلف الزجاج كدمية عرض في متجر. الناس صاحت فيه وبصقت، لكنه كان يرتجف – وهكذا أخرج سخط الناس من بين أسنانه المصطكة خوفاً..

قال يوسف صديق: جاءت زوجة عبد القيوم تولول: الليلة يا عديلي خليت نائلة وسعد للخلا.. يا ضّوي وركيزة بيتي ووي وي...

قال بخيت: جاء البوليس وستروا الجسد المكّوم وقاسوا واستعجلوا وأمروا سائق العربة بالتوجه إلى المركز. الناس قالوا – قال بخيت: ما بحاكموه أسع يطلع برئ..

تخرج الجنازات في المدينة كأي واجب وكأي واجب دفنوا عبد القيوم. حين كان يافعاً كان متخصصاً في صناعة المراكب الصغيرة لأصحابه بالمجان ولأبناء القرية بخمسة قروش، مركب يقضي في صناعتها نهاره كله – غيره كان يعبر النيل من الجلدة للجلدة أو في فك طلاسم الحروف ولكن عبد القيوم مغرم من بين المعادن بالحديد.. في الخلوة كان الشيخ يرسله ليسقي الحمير أو يتسلق النخيل ليحضر له رطباً أو ليسرج راحلة ضيف. وهكذا كانت نار القرآن –برداً وسلاماً على إبراهيم وأولاد حسب الله وغيرهم وحاميةً على عبد القيوم. كان عبد القيوم مظلوماً ظلم كلب أهل الكهف في نوم لا صالح له فيه وانتهت حياته في الخلوة والدرس بصرخة إثر سوط حامٍ. وعبد القيوم يصرخ بلا حصر.

ساعد أباه كأجير مرادف في أرض لا يملكانها وأحايين أخرى لطّخ بيوت الناس بالزبالة وبدلاً من أن يُعاقب كان يمنح أجراً لقاء التلطيخ.. ولكنه أجر لا يتمكن من صرّه في طرف ثوبه. وهو كبير ترسله أمه إلى السوق. الناس في سنه تموت في سود العيون وهو يموت في عيني عربة.. البدفورد يا عبد. الله كريم. الله كريم. يرددها مختلفة الإيقاع والزمن بلهجة من كتب عليه الفقر وأذعن..

وصله مرة طرد بلح من أمه، ففرح به فرح عابر سبيل عفا عنه كلب عقور، فتح الطرد وشمه. وتمسح به فبكى ودعاه حنينه للعودة، فكانت في حياته سكينة، إمرأة لا تحمل أسمها، وهي في فركة عرسها عفرتت عيه حياته، طموحها لا نهائي ولا يحوشها حوش. كانت تتجمل وتشاكسه وتحبه حباً من نوع غريب وجاسر. حكّاثة، (شهر زاد) جارتها بلا منازع، يقطعن بالقسر تلفزيوناتهن ويتسرين إليها فتحكي فيظهر القمر. وتحكي فتضحك الحيوانات الأليفة والنباتات المتسلقة. وتحكي حتى لا يتبقى للواحدة من جاراتها مصران فيرجعن عند طرقات عبد القيوم المألوفة المتعبة على الباب. تفتح سكينة وتكون الليل ببقيته.. حتى أُتيلتْ وأَحْسنتْ ولكن حسن مات في مهده، فأسعدتْ وفي الطريق قادم..

كان هناك بلدوزر، فرغ به سائقه من يوم عمل شاق. وقفل به راجعاً إلى حظيرة الشركة داس السائق فتأوه البلدوزر من تعبٍ، وأن داس السائق مرة أخرى رشح البلدوزر البترول كله كما يتقيأ مخمور.. رجع السائق إلى الوراء فمشى مرة أخرى إلى الأمام فأبى .. غضب السائق ورجع بسرعة فائقة إلى الوراء فاقترب من المقابر وهتك قبراً، نزل السائق خائفاً وترك الماكينة الصماء مكانها واختفى.. كانت الصراصير تناوب الضفادع الحراسة الموسيقية للموتى.. وكانت بالقبر المهتوك حركة.. أطلّت جمجمة من الكّوة المتاحة تلفتتْ يمنة ويسرة وأعادت رأسها إلى القبر في هدوء.ومرة أخرى، الجمجمةُ لم تر اللص الذي يخبئ وارده في قبر مجاور ولم تشم رائحة الفجر ولم تسمع صوت الآذان المصري اللكنة.. ولم! كانت جمجمة مثقوبة في الجبهة بنفس موضع هلال العرس. مثل شوكة سمك البلطي انسلت الجمجمة من القبر، متبوعة بالهيكل العظمي المتبقي من كائنٍ ما اسمه عبد القيوم. أحدث الهيكل جلبة لا قبل للحذر بتفاديها ومشى طاخ تراخ طاخ نحو البلدوزر، ولكن كل ذلك مر بسلام. ومن الغضب كان تل عبد القيوم يزعتر، حين امتطى ظهر البلدوزر الضخم. كانت الكوة في موضع الهلال من رأسه تعوي واوواوا حيث يتداخل الهواء الفاسد والغضب في لجتها قالت الجن سِر أيها البلدوزر قال الضوء أسرع أيها البلدوزر قال عبد القيوم: هيت لها أيتها الشوارع وا.....ووووا..وا! وتحركت الآلة العجيبة من أول إشارة من قيوم القائم قبل القيامة..

كانت الحركة ذلك الصباح مكدسة العربات مكتظتها.. عربات صفراء وحمراء وخضراء، ولا عربات وعربات لا سوداء.. دهش عبد القيوم وهو السائق القدير إذ رأى الجميع يسيرون يمين الشارع. دهش رجل الحركة أ، البلدوزر يقوده هيكل عظمي فظيع لات حين مهرب. هذا هو الثور وأنتم المستودع الشهير..

اشتعل عبد القيوم غضباً. لا أحد يخبرهم بالتغييرات التي تحدث في هذا الكون.. وا.. ووا..وا وطفق يدهس في البطاطس البشرية داخل العربات المكتظة، بعضهم تردد من كان في آخر الصف في أن يتركوا مارسيدساتهم هكذا، فكان موتهم مسبباً بالتردد.

هرس.. دهس.. يوم كامل وعبد القيوم يدهس.. وهذا البلدوزر العجيب لا توقفه المتاريس، ولا طلقات البندقيات ولا الدبابات ولم ينضب بتروله. وكان عبد القيوم محنطاً لا يسري الرصاص في جسده الماسي ذي الغضب المفتوح. ذلك الغضب لا يفنى ولا يخلق من عدم. جليلة مدت رأسها فوق الحائط الذي يفصل بينها وبين الشارع فرمت طفلها وتخلّت عن أمومتها فجأة وصرخت: بسم الله! الليلة يا شيخي تلحقنا وتنجدنا. مولانا حبيب الله من فوق مئذنة الجامع في الظهر أبصر المشهد فصرخ من خلال الميكروفون: أشهد أن إله إلا الله. يا مسلمين توبوا إلى الله.

المسيح الدجال ظهر. وأخذ ذو نظارة متخشبة يسير لصق زميله مراقباً، وله ولزميله أعين كحرز الدجاج –الذي يدعي أعيناً – تضىءوتنطفىء قال:دا دونكيشوت خلّي بالك بناطح ساكت.

كان تل عبد القيوم يزعتر: أولاد الكلب تقتلوني؟ وهو أنا شفت حاجة في الدنيا؟ انتظروا. وقّرر عبد القيوم أن يرتاح قليلاً فزاد من سرعة مكتبته فانطلقت بسرعة فكلية واتجه شرقاً وانعطف بعد أن كنس كل البيوت والعمارات التي قابلته وأطفأ غضبه في النيل..

كان النيل رحباً ..وكان يقبل الجميع ويُطيِّب خاطرهم. اتجه البلدوزر وتابعه إلى العمق وهنالك اقتربتْ سمكة بلا زعانف وفيما بعد حكَتْ لصويحباتها عن جمجمة مثقوبة تقول بغْ – بغْ – بغْ وكيف أنها حين ولجت بداخلها لم تجد لحماً ينبت لها زعانفها. وضحكن صويحباتها وسَبحن معها حول وتحت وفوق وعلى وفي البلدوزر وصاحبه عسى ولعل، لكن فقاقيع من الغضب كانت وحدها تخرج من بين الجسمين الملتحمين معاً بإلفة شديدة.

أنا، الأخرى وأمي

عبد العزيز بركة ساكن

عمري الآن خمسون عاماً، وهو نفس عمر أمي حينما توفاها الله منذ ثلاثين سنة بالكمال والتمام. وأحكي الآن عنها ليس من أجل تخليد ذكراها الثلاثين، كما يفعل الناس أن يحتفوا بذكرى وفاة أمهاتهم اللائي يحبون، ولو أنني أحبها أيضاً، إلا أنني لا أحكي الآن عنها تحت ضغط والحاح روحها الطاهرة. أقول ضغط والحاح، وأعني ذلك، على الرغم من أن أمي ماتت منذ أكثر من ربع قرن، إلا أنني لم أحسب أنها ميتة، لأنها بالفعل لم تك كذلك، إنها أخذت إجازة طويلة ونهائية عن مشاغل الدنيا الكثيرة ومني أنا؛ ابنها الوحيد، بالذات، رفيق شقائها وسعادتها. ولكن أمي حالما تراجعت – مع مرور الزمن – عن فكرة الإجازة بعد ثلاثين عاماً فقط، وثلاثون سنة في زمن الموتي– كما تعلمون – ليست بالكثير، يقال إن موتهم قد يطول إلى الأبد.

بالأمس القريب بعدما قضيت نهاري الطويل في المدرسة، حيث أعمل مديراً لمدرسة في مرحلة الأساس، وأنفقت مسائي البائس في نادي المعلمين ألعب الورق وأثرثر، عدت مرهقاً للبيت الذي أقيم فيه وحدي، بعد أن تزوجتْ أكبر بنياتي في هذا الأسبوع وذهبت مع زوجها تدب في بلاد الله الواسعة، مثلما فعلت ابنتاي اللتان تصغرانها عمراً في السنتين الماضيتين، وتزوجتْ زوجتي أيضاً قبل أكثر من عشرة أعوام من رجل يقولون إنه حبيبها الأول. بالطبع بعد أن طلقتني عن طريق محكمة الأحوال الشخصية بدعوى أنني لا أنفع كزوج أو رجل، وأنها كرهتني، ويعلم الله أنني لست بالشخص البغيض، والدليل على ذلك أن بناتي الثلاث اخترن أن يبقين معي في البيت ورفضن أن يذهبن معها إلى بيت والدها، ثم إلى بين زوجها الجديد. فمن منا البغيض والمكروه؟

هذا موضوع لا أحب أن أتطرق إليه إطلاقاً، فهي على أية حال أم بنياتي الثلاث.كنت مرهقاً . زحفت إلى سريري زحفاً، رميت بجسدي على اللحاف الطيب الحنون، فهو آخر ما تبقى لي من أم وزوجة وبنات، كان المصدر الوحيد الذي يمنحني الحنان باحتضانه لجسمي التحيا الهرم. كعادتي أترك إضاءة خافتة فاترة تصدر عن لمبة ترشيد استهلاك صينية صغيرة بخيلة، إلى الصباح. كدت أغمض عينّي حينما سمعت كركرة كرسي على البلاط، ثم رأيت على ضوء النيون الترشيدي الصيني البخيل، امرأة شابة تسحبه نحوي ثم تجلس عليه قرب رأسي مباشرة، تحملق في وجهي بحنية لا تُخطأ، ولو أنه كان لوحيد مثلي أن يخاف، بل أن يُجَن من الخوف، إلا أنني صحت في دهشة وترحاب غريبين:

– الله.. أمي آمنة؟

ابتسمت المرأة الشابة الجميلة الحنون، وقد بدأت تتحدث في هدوء، حكت قصة حياتي منذ ميلادي بالدقيقة والثانية، حدثاً حدثاً.أخذت أستمع إليها في صمت وتعجب، كأنما من يُحكى عنه ومن يُحكى له ليس سوى صنوين لي ضالين، كنت أكتشف تدريجياً أن حياتي كلها معصية، وأنني كنت أجري وراء ملذات الدنيا وسقطاتها، ولو أن بعض الحوادث كانت تشير بوضوح إلى نبلي ونقاء سريرتي، إلا أن المحصلة النهائية تبدو كما ذكرت. لا أدري كم من الزمن مكثتْ تحكي قرب رأسي، ولكنها بلا شك بقيت هنالك زمناً طويلاً . ولا أدري كم حكاية حكت، ولكتها بلا شك حكت حكايات شتى. ولا أعرف متى نمتُ، ولكني بلا شك نمت متأخراً جداً لأنني لم أستيقظ كعادتي – مثلي في ذلك مثل كل مديري المدارس – عند الرابعة صباحاً، بل أيقظني خفير المدرسة – مندهشاً – في فسحة الفطور والي العاشرة والنصف صباحاً، وثأثأ فيما يعني أن الجميع افتقدني. لقد كان أخرس ذا لغة ملتبسة. بقيتْ في رأسي جملة واحدة من كلامات أم:

– أنا كل يوم معاك لحظة بلحظة.

لم أحك لأحد ما دار يني وبين أمي، خوفاً من السخرية والشماتة، أو أن أتهم بالجنون، وربما أفقد وظيفتي إذا تأكدت الإدارة من أني جننت، خاصة وأن للبعض مصلحة في أن أُبعد. بصراحة لديَّ أعداء كثر. تكتمت على الأمر. اتصلتْ بي ابنتي الكبرى أمونة– سّميتها على أمي – سألتني عن صحتي وعن الوحدة، ولمَّحت بأن عليَّ أن أتزوج ولو من امرأة كبيرة في العمر، لأنني – حسب تقديرها – أحتاج إلى رفيق في وحدتي وأنها تعرف أربعينية جميلة مطلقة لها طفلان. ادعيت بأني لم أفهم ما ترمي إليه، ربما لأني لا أرغب في الزواج، فقد أصبحت المرأة عندي كائناً جميلاً، يصلح لكل شيء ما عدا الزواج. في المساء كنت مستعداً لمحاضرة امي آمنة. جاءت وكانت في كامل شبابها وجمالها في أثواب نظيفة ملونة زاهية تشع بهجة. قال لي:

– ظاهر عليك الليلة جاهز من بدري

فجأة خطرت لي فكرةٌ غريبة، وشرعت في تنفيذها مباشرة. هكذا أنا: أفكاري في أصابعي. مددت أصابعي نحوها متحسساً أثوابها، فإذا بكفي تقبض الهواء، تمام الهواء، أما هي فقد اختفت. سمعتُ نداءها يأتي من أقاصي الغرفة، قائلة بصوتها الذي لم يفقد حلاوته طوال السنوات التي قضتها تحت التراب:

– أنا صورة وصوت، صورة وصوت فقط.

قلت لها:

– أنا خايف تكون دي هلوسة، هلوسة ما أكتر!

قال لي بذات الصوت الذي أعرفه جيداً وصاحبني طفولتي كلها:

– أنا كنت دايماً قريبة منك

أمي وأنا كنا صديقين حميمين، مرت بنا سنوات شدة عصيبة وسنوات فرح عظيمة أيضاً. أنا ابنها الوحيد ولا أب لي أعرفه إلى اليوم، منذ أن تفتحت عيناي على هذا المخلوق الرقيق النشط

الذي لا يستريح من العمل، الذي يسعى مثل نمل الأرض بحثاً عن حبة عيش نطعمها معاً، كانت توفر لي كل شيء أطلبه، ومهما كان عصيًّا. أذكر أنني طلبت منها ذات مرة أن تشتري لي دراجة هوائية مثلي مثل صديقي في المدرسة والصف والكلية أبكر اسحق. وأذكر إلى اليوم كيف أنها انتهرتني بل قذفت في وجهي شيئاً كان بيدها في ثورة وغضب، وأنها صرخت فَي مؤنبة:

– إنتقايل نفسك ود منو؟ .. ود الصادق المهدي؟

بالطبع ما كنت أعرف من هو الصادق المهدي ولكن سؤالها أثار فيَّ سؤالاً آخر:

– أنا ود منو؟

ولم أسألها لأن السؤال نفسه لم يكن ملحاً بالنسبة لي، لأنني لم أعرف قيمة الأب ولا أهميته ولا وظيفته وبالتالي لم أفتقده، والآباء الكثر الذين في حينا لم يقم واحد منهم بعمل خارق تعجز أمي عن القيام به، بل إن أمي هي التي كانت تفعل ما لم يستطع الآباء فعله، فهي تبني وترمم بيتنا بيديها، وتصنع السدود الترابية لكي تمنع مياه الخريف من جرف قطيتنا حيث أن بيتنا يقع على تخوم خور صغير، ولم أر أباً فعل ذلك. كانوا يستأجرون العمال حتى لصنع لحافاتهم ومراتبهم وغسل ملابسهم. إنه لأمر أدهشني كثيراً. أضف إلى ذلك أن أمي تعمل خارج المنزل في وظيفة مهمة: إنها تبيع الشاي والقهوة عند بوابة السجن، ويستلف منها الجميع، حتى المأمور نفسه، لذا التبس علّي الأمر. والآن، ولأول مرة أعرف من أمي أن من وظائف أب غامض يدعى الصادق المهدي تقديم الدراجات الهوائية إلى مَن هم أطفاله. ولكن الشيء الذي أطاخ بسؤال الأب نهائياً أن أمي آمنة بعد ثلاثة شهور أو أكثر، اشترت لي دراجة هوائية، ولو أنها ليست جديدة تماماً مثل دراجة أبكر اسحق، وأنها مستعملة من قبل، إلا أنني فرحت بها جداً، خصوصاً بعد أن أكد لي أصدقائي أنها دراجة جميلة وأنها أجود من دراجة أبكر.

أمي تعمل في صنع الزلابية وأقوم أنا ببيعها للجيران في الصباح الباكر، وتعمل فرَّاشة في السجن ما بعد بيع الزلابية وشرب الشاي، وعندما تركتْ العمل في السجن، عملتْ بائعة للشاي عند باب السجن كمحاولة منها لتحويل زملاء الأمس إلى زبائن اليوم. وبالفعل استطاعت أن تكون منافساً حقيقياً لأم بخوت، وهي إحدى زبوناتها في الماضي عندما كانت أمي تعمل فرَّاشة. أما أنا فذلك الولد الذي يطلق الناس عليه (وَدْ أُمُّو)، أعني لا أبرح مجلسها أبداً، بعد نهاية اليوم الدراسي أحضر إلى موقع عملها، أغسل لها كبابي الشاي الفارغة، أحمل الطلبات البعيدة إلى الزبائن، أشتري لها السكر والشاي الجيدين من الدكان، أحكي لها عن التلاميذ، الحصص والمعلمين، وعندما أنعس تفسح لي مرقداً خلفها فارشة لي برشاً من السعف، متوسداً حقيبة المدرسة، عجلتي الجميلة قرب رجلّي تنتظرني: أنوم.

قلت لها في جرأة:

– إنت وين الآن؟ في الجنة؟ في النار؟ في الدنيا؟ ووين كنت الزمن دا كله؟

قالت لي:

– أنا هنا.

كانت تجلس في الكرسي، كما هو في اليوم الأول، سألتني عن مبررات كل ما قمت به في يومي هذا، وكنت أجيبها بصدق، تعلق أحياناً أو تصمت في أحايين كثيرة، ولكنها بشكل عام كانت تؤكد لي أنه ليس مهماً أن ما اقوم به مقبول أم لا، لكن المهم هو هل أنا أجد مبرراً لما أقوم به أم لا، هل أنا راضٍ عن نفسي أم لا.

سألتْني:

–هل توافق على اقتراح بِنَّك أمونة؟

قلت:

– أنا ما أظني بقدر على النساء، كبرت وفقدت الرغبة في المواضيع دي، وأنا الآن قادر أقوم بواجب نفسي بنفسي من طعام وشراب ونظافة، المرأة الحقيقية الوحيدة في حياتي هي انتي وكفاية.

ابتسمت أمي آمنة ابتسامة عميقة وحلوة، ثم تلاشت تدريجياً في فضاء الغرفة. في الصباح الباكر اتصلتْ بي ابنتي أمونة مرة اخرى وقال لي بوضوح إنها سوف ترتب لي لقاًءمع أربعينية جميلة مطلقة لها طفلان، ومن ثم أنا حر في أن ارتبط بها أم لا. قلت لنفسي:

– ماذا ستخسر؟ فليكن.

كانت امرأة جميلة، لها ابتسامة دائمة في وجهها، لا تحتاج لسبب وجيه لكي تضحك، فهي تضحك باستمرار، وتستطيع أن تقنع أي إنسان مهما كان متشائماً أن يرد على ابتسامتها بابتسامة أخرى، حتى ولو كانت باهتة تعبة، ولكن الشيء الغريب فيها والمدهش والمخيف أيضاً أنها ترتدي نفس الملابس التي كانت ترتديها أمي آمنة بالأمس، نفس الحذاء، نفس الصوت نفس الطريقة في الكلام نفس الوجه، نفس الابتسامة، وأستطيع أن أقول إنها نفس المرأة.

عوْدَةُ الجِّدَّقَوْرَدَة!

كمال الجزولي

(1)

سهرتُ،مرَّة،أطالعجانباً منمذكرات الرِّوائي الكولومبي غابرييلغارسياماركيز يتعلق بمصادرإلهامه،وضمنها مصدره لماكان أورد، في بعض رواياته،عنقروية كان سمع أنها طارت،ذاتصباحباكر،إلىالسَّماء،وهيتنشرالملاءاتفيحديقةبيتهم!

فيالمذكراتقالماركيزإنجليَّةالأمر سرعان ما شاعت، حيث اتضح أنالفتاةكانت،فيالحقيقة، قد هربت مععشيقها،وماطيرانهاإلىالسماءإلاأكذوبةاختلقهاأهلهاليغطوا على العارالذيلحقهم!معذلكقالالحكاءالبارعإنه،عندماجلسلكتابةروايته،ألفىنفسهيهدرتلكالحقيقة، مفضِّلاً عليها القصَّةالمختلقة، إذ من المعتاد أنتهربفتاةمععشيقهاكلَّيوم،لكنماكلَّيومتطيرفتاةمعالملاءاتإلىالسَّماء!

....

مطلعالفجر تملكني نعاس ثقيل، فنحيتالمذكراتجانباً،وأناأجرُّالغطاء. لكن، وبعد أن أطفأت المصباح، وتهيَّأت، تماماً، لأن أنسرب في البرزخ الزلق بيناليقظةوالنوم، سطعت في عقلي،بغتة،بهرةقويَّة،حيث دهمتني بعض مراءٍ من ماضٍ سحيق، اقتلعتني، اقتلاعاً، من الفراش إلى منضدة الكتابة!

....

النهود،شتاء1952م.

مضى،كان،مايربوعلىالعاممذفارقناأمدرمان،لأوَّلمرَّة،مرتحلين غرباً معوالدنا،عليهرحمةاللهورضوانه،فيإثرنقله مساعداً طبياً بمستشفى تلكالمدينةالصغيرةالقابعةوسطصحراءكردفان،ولمَّانكن،أناوشقيقتيالأصغرأميرة،قدبلغناسنًّالالتحاقبالمدرسةبعد.

أقمناهناكفيحيٍّمميَّزمتاخملساحةتحفهابضعدكاناتثابتة،وينعقدفيهاماكانيُعرف،وقتها،بـ"يومالسُّوق"مرَّةكلَّأسبوع. كان القليلمنأهلذلكالحيِّ سكاناً محليين،أمامعظمهمفأسرنازحةمثلنا،أربابهاموظفوميريمنقولون،أوجلابةيتاجرونفيالماشيةأوالمحاصيل، بعضهممنالعاصمة،وأكثرهممنالسَّافلأومنالصَّعيد،علىوجوههمشلوخمختلفات،وعلىألسنتهمشتَّىاللغاتواللهجات،لكنهمكانوا،معذلك،مترابطيالعلائق،حميميالصِّلات.

كانبيتنا،كأغلبالبيوت،فسيحاً، واسع الغرف، تنتصبوسطباحتهالرَّحبةهجليجةعملاقة،وتنتشرفيجنباتهاشجيراتليمونوحنَّاءووردحمير. كان البيت يطلُّعلىشارعرمليٍّعريضليسنادراًماتعبره، في فصل الجَّفاف، أسراب النعام

منطلقةتخيفنابنظراتهاالغريبة،ومناقيرهاالمتحفزة،وتغمره،أوانالخريف،مياهالسِّيولتتحدَّرمنوديانبعيدة،حاملةكلَّمايخطرأولايخطرعلىالبالمنحطب الحريق، وجوَّالات المحاصيل، والأواني المنزليَّة، ومزق خيام الشَّعر، وحصائر السعفوالوبر،والأثاثات محليَّة الصُّنع، وبقايا الحيوانات النافقة!

فيالجِّوارمنا،علىبعدبيتين،أو ربَّما ثلاثة،كانيقومبيت مختلف شيئاً عن سائر بيوت الحيِّ، بزريبته الكبيرة، وروائح بهائمه الزنخة، وغرفه العديدة المتداخلة، هو بيت الجِّدَّةوردة. خمسينيَّة،مفرطةالبدانة،مربوعةالقامة،فاحمةاللون،هائلةالعجيزة،فارهةالصَّدر،قصيرةالشَّعر،فطساءالأنف،عاليةالجَّبين،محمرَّةالعينين،غليظةالشَّفتين،قليلةالكلام،غامضةالابتسام!وكانتلهاأُمَّة بأكملها منالبنينوالبناتوالأحفادوالحفيدات، مثلماكانلها،فيزريبةبيتها،مُراح ضخم منالأبقارمكتنزةالضُّروع،حيثكنانتزاحم،نحنأطفالالحيِّ،حولها،فيالصَّباحاتالباكرة،نكادلانفرِّقبينهاوبينبقراتهاالسِّمان،تبيعنااللبنالطازجواللقيماتالسَّاخنة،وهيمضطجعةعلىعنقريبها القصير،شبهعاريةإلامنخرقةتنحسرعنجسدهاالصَّقيلالدَّهين،وشعرهاالفلفليِّالوديك،دائمةالصَّمت،كتمثالأبنوسيٍّمهيب،لاتندُّعنهاأمةتذمُّرمنضجيجناوعجيجنا،يطغىحتىعلىصوتالمذياعالخشبيِّالضخمالمفتوحعلىآخرهفينافذةغرفةقريبة،يبثُّالقرآنبتلاوةالشيخعوضعمر،ونشرةالأخباربصوتمحمدصالحفهمي،وأغنياتالكاشفوالتاجوالفلاتيَّةوعبدالحميديوسفوأحمدالمصطفوحسنعطيَّةوغيرهم.

(2)

ظلتحياةالناسفي ذلك الحيِّتمضيهادئة،رتيبة،وادعة،حتىأيقظنا،ذاتفجرباكر،عويليتعالىمنناحيةبيتالجِّدَّةوردة، تتداخل في طبقاته بقايا كوابيسنا مع مرائي فوانيس الكيروسين الكابية، فترتعدالفرائص، وتقشعرُّ الأبدان، ولميردَّنا،بالكاد،إلىالواقع،ويالهمنواقع،غيرأنسمعناوالدتنا،عليهارحمةاللهورضوانه،تحادثالجاراتمنفوقحائطناالشَّرقيِّالقصير:

."قالواجويصحُّوهاو..بَس..أضانالحاملطرشة"!

يايُمَّةخشمالبيتفاتِح..وهبوبوكاتِح"!

ثمَّالبثتأصواتهنأنانخفضت،بغتة،بهمسلمنستبنه، في حينه،تماماً،سوىأنناالتقطنا،لأوَّلمرَّة،منبينارتجافاتهاالخافتة،عبارة"دَرْبالبَيَّة"!

……………………………

بكاهاأهلالحيِّأجمعهم، وبكتها بقراتها الناعبات، وبكاها مذياعها الغارق في وحشة صمته المطبق، وبكيناها،نحنالصِّغار،ربَّمابأكثرمِمَّابكاهاالكبار،ومشينامعالرِّجالمنهمخلفجنازتهاإلىالمدافن، نتزاحمتحتأرجلهم،كسربجراء،

ونحدِّق،بأعينواجفة،فيمشهدتمديدهابجوفاللحد،ورصِّقوالبالطينفوقفتحته،وإهالةالتراب عليه بالواسوق،حتى إذا

صارتالحفرةتلةمستطيلةوضعواحجرينكبيرينفيموضعيالرَّأسوالقدمينمنها،ورشّوابعضالماءعليها،وقرأواالفاتحةمرَّة،والإخلاصإحدىعشرمرَّة،ثمانقلبواعائدين،ونحن نتراكض منورائهم،وبينسيقانهم،كأفراخقطايلفحهاالي ُتموالبرد،وقدرسمتالدُّموعمجاريهااللزجةعلىغبشةوجوهناالشِّتائيَّة،وسالتبهاأنوفناالطفلةمدرارة!

....

انقضىمأتمالرجالبأيَّامهالثلاثة.أمَّامأتمالنساءفقداتصللفترةأطول.لكنَّالحزنتلاشىفينفوسنا،نحنالصِّغار،بأسرعممَّاتلاشىفينفوسالكبار!

هكذاصارمأتمالنساءفيبيتالجِّدَّةوردةمرتعاً للقاءاتنا المستمرة،ومشاغباتنا العابثة،وألعابنا الضَّاجَّة،ومرحنا الصَّخَّاب!نقصده،خلفأمهاتنا،فيالصَّباحات،ونعودمنهمعهنَّلدىاقترابعودةالآباءبعدالظهيرات،ثمنعاودالرَّكضخلفهنَّإليهمطالعالعصاري،ولانقفلراجعينإلاعندعودتهنَّبعدصلاةالعشاء.وكانتبعضالنِّسوةغيرالمتزوِّجاتيتبادلنالمبيتمعبناتالمرحومة،مؤازرةًلهنَّ،أغلبالليالي.

أمرٌواحدٌكانيفسدعلينامتعةذلكالتغييرالكبيرالذيحلَّعلىحياتنا،فجأة،

بموتالمرحومة،فهشَّمروتينطفولتنا:الهمسالغامضالذيتتخللهعبارة"تَرَ'بْالبَتَّة"،والذيماتكادتنفردامرأتانفيركنإلاوتستغرقانفيه،غيرآبهتينلوجودنا علىمقربةتنسترقالسَّمع،وقدتزيدانشيئاً عنرائحةحنوط،وخنخنةصوت،وخشخشةكفن!

كنانلاحظأنبناتالمرحومةيراقبنذلك، عن كثب، دون أن يفوتنا، ونحن في تلك السِّنِّ الباكرة، التقاط حرجهنَّ المقترنبالقلقوالتوتر الواضحين!وكانأكثرمايؤرِّقليلاتنا،أيامها،ويقضُّمضاجعنا،محاولاتنا،بأقصىماأوتينامنأخيلةغضَّة،افتضاضسرِّذلكالهمسالغامض،والحرج،والقلق والتَّوتُّر!لكنَّالإرهاقسرعانماكانيحملنا علىأمواجأثيريَّةمنالنعاس،فالنوم،ليتماهىالوعيمعاللاوعي، إلى أن جاءتالليلةالليلاء!

....

عدنا، كما العادة، عقبصلاةالعشاء،مرهقينمغبَّرين،بعديومحافلباللعبوالمرحفيبيتالب ُكاء.استحممنا،وتعشَّينا.لكن،ماكدنانهجعللنَّومحتىنشقَّتالسُّكون،بغتة،منجهةبيتالجِّدَّةوردة،صرخةنسائيَّةمذعورة، تبعتها صرخات متداخلة، قفَّ لها شعر جلودنا!وسمعناهمهماترجاليَّةتتعالى،ومعدَّاتمعدنيَّةتتلاطم،وأوانزجاجيَّةتتكسَّر،وأقداماً تتراكضبالخوففيالشَّارع،وأجساداً تتقافزمنفوقالحوائطالفاصلةبينالبيوتالمتلاصقة!ثممالبثأن تناهى إلى أسماعنا صوت ابنالمرحومةالكبيرالذيكانقدجاءلحضورمأتمهامنالخرطوم،حيث كان يعملسائقاً فيشركةالنور،يصيحبلسان أثقلته الكحول:

."يللللامنهنا..يحرقد..كم..حريممطاليش!تانيعليالطلاقاشوفواحدةفيكمفيالبيتدهإلاأكسِرليهاكراعها"!

لمندرك،بطبيعةالحال،حقيقةماجرى،تماماً،فيتلكالليلة؛غيرأنآذاننا التقطت،خلالالأيامالتالية،ألفحكايةوحكاية.ومعأنتلكالحكاياتكانتماتزالمشوبةبالغموض، ومحتشدة بالأسرار، إلاأنهاألهبتخيالنابمايسدُّبعضالفراغات،ويستكملشيئاًمنالنقص؛فكنانقضيسحائبنهاراتناتحتالهجليجة،نفكّكالوقائع،ونعيدتركيبها،بقدرماتسعفنامواهبناالطريَّة،وأخيلتناالخصيبة!ومعتيقنناأننا كنا نزيد، و نكذب،ونختلق،إلاأنناكنانجدلذّةعجيبةفيالاستغراقفيتلفيقاتناتلك،حدَّأنيتملكنارعبحقيقييجعلناننتلفتوجلاً،ونرتعدفَرقاً، بينما الدَّمع يترقرقفيمآقينا!

....

وضعتتلكالحادثة،علىأيَّةحال،نهايةمعنويَّةلمأتمالجِّدَّةوردةالمتطاول،مثلماوضعتبدايةماديَّةلترقبعودتها.فيأيَّةلحظةهكذاانحسرتالأقدامعنبيتالبُكاء،وأغلقأهلهبابهمعليهم،لايزورونأحداً،ولايزورهمأحد!حتىأطفالهمماعادوايلعبونمعنا!ومنيومهالميعدالحيُّ،أبداً،سيرتهاالأولى!

(3)

بعدنحوشهرينمنذلك،وكانسيناالأمربرمَّته،أوكدنا،حملت،ذات"يومسوق"،سلةصغيرةمنالسعفالملوَّنالمضفوركانتجدتيلأمِّي جلبتها لي حين جاءتمنامدرمانتزورنا،وركضتُأشقُّزحام المتسوِّقين يتبعنيعتودصغيركنتأربِّيه،قاصداًركنبيعالنَّبقالذّهبيِّالطازج،اليانع،المائلإلىالحُمرة.

كانتعينايمشغولتينبالبحثعنأجودالأكوام.وإذوجدته جثوتُعلىركبتيَّحياله،ومَددتُيديإلىالبائعةبالسَّلة،وبقطعةالعملةالمعدنيَّةمنفئةالفِيني"قرشين"،بينماعينايمغروستانفيبريقالذَّهب:

."أديني باحَبُّوَبة"!

."أنطيكبيكم"؟!

....

انتبهت،بغتة،إلىخنخنةالصَّوت،وفيذاتاللحظةإلى..رائحةالحنوط!وكمافي شريط سينمائيٍّعرضبالسُّرعةالبطيئة،رحتأرفعرأسي،رويداًرويداً،بينمااحتكلَّبوصة من جسديتَمَلُّوتقشعر،حتىإذامااستقرَّتعينايعلىالأبنوسيَّةالخمسينيَّةالمهيبة،مفرطةالبدانة،مربوعةالقامة،فاحمةاللون،هائلةالعجيزة،فارهةالصَّدر،قصيرةالشَّعر،فطساءالأنف،عاليةالجَّبين،محمرَّةالعينين،غليظةالشَّفتين،غامضةالابتسام،مضطجعةعلىعنقريبهاالقصير،وكفنهايُخشخشملتفَّاً،بالكاد،حولجسدهاالصَّقيلالدَّهين،ومنحسراًعنشعرهاالفلفليِّالوديك،أطلقتصرخةمفزوعةارتجَّتلهاأركانالسُّوق،ولمأعِ،بعدها،منأمريشيئاً!

(4)

يبدوأننيلزمتسريرالمستشفى،فاقداًالوعي،عدَّةأيَّام.أدركتذلكمنثرثراتجاراتناالاتيتعرَّفتعلىأصواتهنَّبيُسر،وقدتقرفصن على أرض العنبرحولفراشي،بينماكنتأستفيقتحتالغطاء،ببطء!وفهمت،منتلكالثرثرات،أيضاً،أنني،عندماوقعتعينايعليها،صرختباسمهاحتىكدتأشقُّحنجرتيوصدري،قبلأن

أسقطمغشيَّاً عليَّ،فتجمَّعالناسحولي،وعرفنيحلاقفيالسُّوقمنأصدقاءوالدي،حملني،وركضبيإليهفيالمستشفى،حيثأسعفتواحتُجزت.

غيرأنأكثرماحيَّرنيهوماقيلعنأن جميع الناس الذين كانوافيالمكان،بمنفيهمالحلاقنفسه،أقَسموا علىأنهلمتكنثمَّةأبنوسيَّةخمسينيَّة مفرطة البدانة ولايحزنون،بلمحض فتاة إعرابيَّة نحيلة بائسةاعتادتأنتأتيكلَّ"يومسوق"لتبيعالنبقوالللالوبوالتبلدي،وأنها،لمَّا وقع مني ماوقع،فزعت، فانتفضت كما الملدوغة، وفرَّتبجلدها،تاركةبضاعتهاالمتواضعةونقودهاالقليلة!

....

معذلك،أضاف أهل الحيِّ تلكالحادثةتِرْسَاً صغيراً في ماكينةحكاياتهمالتيلمتكفَّ،يوماً،عنالدَّورانبمختلفاللغاتواللهجات،حول..عودةالجِّدَّةوردة!

* * *

قائمة المراجع

١. معلقة الإشارات، عبد الحي، محمد، المجموعة الكاملة

٢. مزرعة في الجبل، إبراهيم، محمد المكي، موسوعة التوثيق الشامل،
http://www.tawtheegonline.com/vb/showthread.php?p=104770

٣. مدن عينيك، الكتيابي، عبد القادر،
https://www.facebook.com/roo3ht.alsh3r/posts/582279718469990

٤. آسيا وأفريقيا، الحسن، تاج السر، فيسبوك
https://www.facebook.com/roo3ht.alsh3r/posts/570831756281453

٥. في ربيع الحب، جماع، إدريس، ديوان لحظات باقية، دار الفكر للطباعة والنشر، الخرطوم، الطبعة الثالثة، ١٩٨٤

٦. صمت الوردة، جماع، فضيلي، سودارس http://www.sudaress.com/hurriyat/173815

٧. رسالة إلى جيني آن، المك، علي
http://lagudb.com/download/lagu/59129555/0fpjprnm1wre.html

٨. حملة عبد القيوم الانتخابية، الفاضل، بشرى، مختارات من الأدب السوداني، المك، علي، دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر، الخرطوم، السودان، ١٩٧٩.

٩. عودة الجدة وردة، الجزولي، كمال، موسوعة التوثيق الشامل
http://www.tawtheegonline.com/vb/showthread.php?t=48084

١٠. أنا، الأخرى وأمي، ساكن، عبد العزيز بركة
http://www.tawtheegonline.com/vb/showthread.php?t=48908

TRANSLATION OF SELECTIONS FROM SUDANESE LITERATURE

ADIL SIDDIQ IBRAHIM BABIKIR

TABLE OF CONTENT

- Abstract
- Introduction
- Poetry:
  - The Signs Ode, Mohammed Abdel Hai
  - A Farm on the Hill, Mohammed El Makki Ibrahim
  - An Afro-Asian Song, Taj El Sir Al Hassan
  - In the Spring of Love, IdrisGamaa'
  - The Shores of Your Eyes, Abdelqadir Al Kitayabi
  - The Silent Rose, FidailiGamaa'
- Short Stories:
  - A Letter to Jennie Anne, Ali El Makk
  - Abdel Qayyoum's Retaliatory Campaign, Bushra Alfadil
  - The Return of Grandma Wardeh, Kamal El Gizouli
  - My Mother, the Other Woman, and I – Abdelaziz Baraka Sakin

ABSTRACT

This is a compilation of selected pieces of poetry and short stories by Sudanese authors. The intention is to give a glimpse of the literary scene in post-independence Sudan, in a bid to put the Sudanese literature in a global focus and enable it to interact on the international scene. The selected examples range chronically from the 1950s to the first decade of the third Millennium. They also vary in themes- from nationalistic poetry (as in "Afro-Asian Ode" by Tag Elsir Al Hassan, in praise of the emerging Non-Aligned States Movement); philosophical-Sufi ("The Signs Ode", by Mohammed Abdel Hai); and romantic (examples from Mohammed El Makki Ibrahim, IdrisGamaa, FidailiGamaa', and Abdel Qadir Al Kitayabi). The same applies to the narrative selections. They include pieces by Ali El Makk, a pioneering short story writer since the 1960s, to Abdel Aziz Baraka Sakin, whose narratives started to appear in the last decade. In between the two, there are two examples by Bushra Elfadil and Kamal Elgizouli, both written in the 1970s.

INTRODUCTION

Throughout history, translation has played a pivotal role in documenting nations' cultural heritage and in driving intercultural interaction. Nations past and present have recognized the importance of translation and earmarked huge funds and awards for encouraging it. Among the different types of translations, literary translation has enjoyed paramount attention and it was throughtranslation that the world came to know the great literary works of Persia, the mythos and drama of the ancient Greece, and the classics of Russian literature. More recently, a huge mass of novels and poetry has been translated into almost all major languages.

Of the massive body of literary works translated from Arabic, one sadly notes that Sudan's contribution has so far been fairly low. Save for Tayeb Saleh, whose novels have been translated to more than 20 languages, translation from Sudanese literature is very limited. This unfortunate situation, whatever the reasons behind it might be, calls for urgent remedial action.

Relevance of this Research

This attempt draws its relevance from the following factors:

- Translation is an effective tool for breaking the closed circuit the Sudanese literature is locked in;
- Placing Sudanese literature on the global scene will allow other nations to gain a glimpse of the main features of the Sudanese national character as the product of an interplay of historical, cultural, social and political influences.

Objectives

The main objectives of this attempt are to help:

- Put the Sudanese literature in a global focus;
- Break the closed circuit the Sudanese literature is locked in and enable it to interact on the global scene;
- Make the Sudanese literature available for the purposes of research, criticism and analysis;

- Illuminate the historical, social, cultural, political,and otherinfluences shaping the Sudanese literature;
- Provide an incentive for Sudanese writers to unlock their creative potential, knowing that their work stands the chance of getting global recognition.

Conclusion

To achieve the above objectives, this attempt focused on translating different examples of Sudanese verse and prose that belong to different generations, with a view to offering a glimpse of Sudanese literature and highlighting its aesthetics, and unique intellectual, linguistic and stylistic characteristics.

POETRY

THE SIGNS ODE

BY MOHAMMED ABDEL HAI

1. An Adamic Signal

With the Names,

We recall the world from its chaos:

The sea.The desert.

The stone.The wind.The water.

The trees.The fire.The female.

Darkness and lights.

And then Allah comes,

Wrapped in His divine attributes – the Names.

That's the birth of His vision.

2. A Noahic Signal

I almost cry in the Lord's face,

How did You find peace,

After unleashing the water's terror,

Onto fields where, year after year,

sweaty work snatched a slice of greenness,

Off the jaws of the barrenness lion?

Why should another wandering begin again?

But I say, as everything is fading away:

Flash, o lightning, through the darkness of His agony, to illuminate this

poem:

An ark, pregnant with all our weaknesses and Longing for our old new

land.

3. An Abrahamic Sign

Is he coming?
Is he coming through the night of utterance?
Through the silence of utterance and the starry rose,
In the night's core,
Glittering like a sword in the flesh of darkness?
Is your other angel coming tonight? Listen!
A falcon's screech, wild glad tidings.
Foam of a slaughtered sheep's blood in the constellation of stars.
Luminous horses in the clouds;
A language in the wind made of green flames on trees;
The escaping night bird turning to ashes,
In the mirrors of fire.

4. A Mosaic Signal

The ashes

In the virgin dawn come together and mount,

Green trees in the pure light;

Red fruits in the dewy leaf;

A white bird, a lavish spring;

Everything;

A dream revealing the promised land.

5. A Jesus' Sign

Here comes the tinkling of dawn's footsteps on hills and trees,

Telling how the wind passed through the harp;

How the angel and the Virgin embraced,

Under the ceilings of fire,

And the street's clamour and dust –

And then they parted:

To his heaven, and to her subdued body.

And the blood song flashing in the bird's chords was put on play.

6. A Muhammadan Sign

The garden took us by surprise;

The garden took us by surprise;

In its heart clusters of roses and fire transformed into light;

White, luminous horses;

Peacocks on the land of soberness spread woven feather.

Everything on the leaves of truth:

Fire trees, and a wave in deep seas,

Of flame, of beauty and blessing.

The birds fall before reaching the shores,

Joyfully embracing their burning fate.

The blooming garden took us by surprise;

At its heart the green dome blossomed,

And glad tidings flowed in: the chosen one was born; felicity became

reality,

Dressed in fresh light from the sun,

The Names sang in celebration.

7. A sign

A sun of grass and two doves,

Singing;

Before the beginning of time;

After the end of time;

Burning,

On the branches,

Of ban trees.

A FARM ON THE HILL

BY MOHAMMED EL MAKKI IBRAHIM

Before you were born,
Before you became a fully-grown farm on the hill,
You used to be a sanctuary for foxes,
Taking refuge from the hill-foot dogs.
A haven for birds,
Weaving their nests on tree tops.
Heaven's water,
Would year after year moisten your cheeks,
And drape a green shawl on your shoulders.
In summer they would come,
To feast their axes on your flesh.
You wouldn’t flinch,
Standing as firm as faith,
Little bothered by the hovering death,
The lashes of the scorching sun and wind,
And weighty rocks day and night on your chest.
You never let out a groan,
Never uttered profanities.
That was before we met,
Before you became a mother field.
Before summer departed,
I combed your hair,
Rolled rocks off your shoulders,

Raised a fence around you,

And an embankment.

Duga well,

Set a bed for plants,

Ran streams on your length and breadth,

Set up a shade for our siesta.

The sun, meanwhile,

Stood high up at the sky pole,

Spilling down over the stones.

The winds kept sharpening their talons,

Slapping the hill on the face.

The vast sky was hollow and barren,

The rainy season nowhere in the horizon.

That particular summer,

I gave a solemn pledge:

I won't let them cut a single hair,

Off your dangling plaits.

If they were to come at dawn,

I shall be waiting for them.

If they chose to visit under night's cover,

They will be fended off by the fence and prayers.

** * **

"You must be in for a date with the rain", the plain thought,

Seeing how beautiful you looked, like a bride in her wedding procession,

Envied by the girls of the plains,

And the girls of the cliffs.

Word among folks at the bush is:

The birds are making the rounds,

Gathering fabricsfor your wedding dress;

Painting flowers and spike,

On your palms.

The clouds, the word goes,

Are forming a permanent shade over our heads,

A shield against the midday sun's rage.

At night, they dispatch dewdrops,

Aboard rosy parachutes,

Landing on your bosom's runway,

Or falling out on the moon's waist.

It then falls into my conscious mind

That you are a virgin,

Leisurely reclining on the sand velvet,

At the incline.

Your bosom breathless,

Your dress unbuttoned-

In wait for the rain.

That you are the mother of my love's kids,

That you are my farm on the hill.

Now I am certain:

If it rained,

And the land put on a false green mantel,

You will emerge fruit-laden,

A garden of fruits and flowers.

Even in summer,

When it’s dry everywhere,

And the land is shivering in fear,

You will remain lush green,

Perfectly beautiful,

Fruit-laden.

You will remain,

My farm on the hill.

AN AFRO-ASIAN SONG
BY TAJ ELSIR AL HASSAN

When I play our ancient chants, o my heart,
As dawn lands on my chest aboard a winged cloud,
I'll serenadethe closing stanza to my beloved land;
To the dark shades in the jungles of Kenya and the Malay;
To the iconic beacons built by the First of May;
To the green glee nights in the new China,
For which I play, out loud, a thousand hearty poems;
To my comrades in Asia;
To the Malay and the vibrant Bandung.

O Dien Phu,
Our land is craving for light and blooms.
The scene of the castle is still fresh in my eyes;
Dead bodies of the enemy hanging down from the blue rocks.
O Dien Phu.
I've just seen a soldier embroidered in blood,
His rose-red heart lying in the open-
A Parisian who met a humiliating death,
In Dien Phu.
Little I know, comrades;
For I haven't been to Indonesia-
The land of Sukarno.
Nor have I seen Russia.
Yet from the luminous heart of the new Africa,
Where darkness is sipping trickles of light from distant stars,
I can see the people in the heart of the Malay,
Like the iconic beacons built by the First of May;
Just as vividly as I can see Jomo,
Rising up as genuine as dawn light.
O flowery forests of Kenya;
O stars looming as beacons;
O Algeria;
Here the triumphant arch takes its proud shape.
From each home, each alley,
We converge like the Asian winds,

Like the war chants of the Maghreb armies.
O Egypt: my country's full sister,
As sweet as your springs, luxuriant as your verdant meadows;
What an eternal truth you are.
O Egypt: mother of Sabir[1].
My heart is so full of you, o sister of my motherland.
Let's wipe off the enemies from our valley,
Our friends are stretching hand:
The face of Ghandi and resonant echoes of the fathomless India.
The voice of Tagore, the chanter,
His verse flying around an art grove.
O Damascus:
We are all united in aspiration[2].
****
O vanguard comrades, leading my people to glory,
Your candles are soaking my heart in green light.
Haven't you heard the voice of "Taiwan" from afar coming?
Giving new life to the people,
Or seen the face of "Joudeh"?[3]
Faces to us returning from prison,
Faces shaking hands with us,
Faces returning to live anew
In Gezira, their mother island.
The souls of "Joudeh" are surely not dead.

O my comrades:
To Wahran our friends are marching.
And in my blood the Canal[4] is running –
Free as a bird.
In the heart of Africa I stand in the vanguard,
And as far as Bandung my sky is spreading.
The olive sapling is my shade and courtyard,
O my comrades:
O vanguard comrades, leading my people to glory,

[1]An old Egyptian woman who used to supply Egyptian resistance fighters with ammunition, hidden in her dress, during the British rule.
[2]An antithesis of a famous poem by prominent Arab poet Ahmed Shawqi, lamenting the division of ranks of Arab countries (the Orient). Shawqi's wording was: We, as people from the Orient, are united in sorrow and grief.
[3]Refers to the Joudeh massacre in 1956, when around 200 peasants protesting for their rights were arrested at gunpoint and held in a poorly ventilated 20 m2 building used as a store for agricultural pesticides, where they died of suffocation
[4] The Suez Canal (referring to President Nassir's bold decision to nationalize the strategic waterway)

Your candles are soaking my heart in green light.
I'll singthe closing stanza,
to my beloved land;
To my fellows in Asia;
To the Malay,
and the vibrant Bandung;

IN THE SPRING OF LOVE

BY IDRIS GAMA'A

In the spring of love we used to savour,
And sing and whisper,
Following birds from one branch to another,
Then I lost pace with the past,
And sorrow engrossed deep at heart.

Two images in a heavenly stream, we cruised.
We sipped life's enchanting essence,
Yet we are far from satiated.
That's love – Never pose questions;
Never blame us.
To heaven we were heading,
But we went astray.
I lost pace with the past,
Sorrow engrossed deep at heart.

My soul released long-held feelings.
I have dissolved my heart for you,
Unto melodies and whimpering.
So have mercy on the guitar,
When used to play a sad melody.
Your smiles are the only food and wine
I have left.
One beaming smile of yours,
Can drive darkness away from my world,
And bring water and blossom back to my desert.

THE SHORES OF YOUE EYES

BY ABDELQADIR AL KITAYABI

A glimpse of you!
'Ah! The shore!' I scream.
And I start to dream.
I pull myself together,
And with the power still left in me,
I pull hard on the oars.
Your eyes looming ahead:
Shores shimmering in the horizon.
Your smile rising high: a beacon
And I start to dream.
*****
The fiercer the wind grows,
Diverting the waves,
The more stubborn I become.
I swear by your name,
To reverse the course of the stream.
You are the port I'm bound for, I solemnly affirm,
Unless I drown in transit.
Worries beset me, though,
That all my dreams - a heavy rain cloud,
Might go astray with the wind,
And disperse away.
Full of fears and worries I grow.
I pull hard on the oars,
And with the power still left in me,
I reach to you,
A wrecked soul, calamity-scarred.
A grief-stricken heart.

I come down to you,
My strings tautened, I relate,
The tale of a man,
Who took a permanent abode along your course ,
Who marked his senses with your face,
Who pulled hard on the oars,
And solemnly declared;
You are the port I'm bound for,
Unless I drown in transit.
Fears beset me, though,
Full of fear I grow,
That the shore might take you in its folds and retreat,
Before I hit land.
That all my dreams - a heavy rain cloud,
Might go astray with the wind,
And disperse away.

THE SILENT ROSE
BY FIDAILI GAMAA'

My rose is besieged in fear,

I tiptoe, to climb her silence.

Holding my breath:

I know, my rose,

You are waiting for the first threads of light to gloriously come out of the blind darkness;

I know you are waiting for the sunrays;

For a soft shower to wash dryness

Off the heads of trees and huts;

And quench the thirst of the earth veins, after a long, scorching summer.

As though, with your heart's eyes,

our Zarqaa of Yamama[5]*,*

You can see a time ahead,

when the grass comes out dancing,

And the pulse– in an upbeat rhythm – storming through our streets.

As though, with your heart's eyes,

You can see millet fields in full bloom;

The air filled with peasants' guffaws;

And breasts inflated with milk;

And a pleasant morning breeze,

After a long night of hunger.

And your fragrance regaining dominance over the air,

Despite the beleaguering fear.

In your silence the big secret lies;

And behind the eloquent silence,

[5]Refers to a legend of a keen-sighted girl who lived in the Arabian Peninsula. Zarqa' was blessed with eyes that were beautiful and blue, but could see long distances away, So she served as a fully-fledged detection system, warning her tribe of any invasion. Legend had it that in one particular invasion attempt, the approaching army covered themselves in tree branches to avoid Zarqa's radar. When Zarqa' warned her tribe that an army of trees was approaching, they dismissed her warning as nonsense, until the enemy attacked them.

The once dominant fear,
Is given a humiliating defeat,
And in silence it does retreat!

SHORT STORIES

A letter to Jennie Anne

By: Ali El Makk

I spent considerable time today writing you this letter. Having written it time and again in my mind, I now have a final version saved in my memory and cannot resist the temptation of reciting it to myself, loudly and in whisper. Before this day, though, I thought my old wound had healed, and that time had been the best cure for the most stubborn of scars. I thought I had managed to bring myself to terms with reality.

I received your letter. It occurred to me that – after traversing through airs, seas, and rivers- the letter must be extremely exhausted, desperately eager to unload its delivery onto my fingers. I picked it up with great care. I always keep your letters in good care, and would only read them when I am alone at home, with no witness but the earth beneath and the sky above.

That night the sky was engulfed in thick dust. I read and read. There was not much to read, though: a postcard invitation to your wedding! It was the first time to know that your full name was Jennie Anne. We learn new things every day and this is at least one good reason why we should forge ahead with life.

Dear Jennie Anne,

I remember that rainy night: the sky was shelling the earth with a chilling downpour, and I was shivering with cold and fear. I hate night time because it is always a son of fear and grief. Sometimes, when the earth and the sky are shrouded in darkness, it seems as if that cloak is permanent, and the entire universe is suffocating and dying.

Yes, I do remember that rainy night. The cold, heavenly water was cleaning everything on earth. I was quivering with cold, yet my eagerness to meet you warmed up my soul and energized my steps as I breathlessly climbed the stairs; a black ghost caught up in heavy rain when everyone else was taking refuge in the warmth of their homes. You know how much I hate rain- to tell you the truth, I hate all seasons! In such weather, blacks are no longer blacks, whites are no longer whites, colours fade away, and the distinction between people is no longer based on colour but rather on passion and emotion, love and hate.

We walked under the umbrella; you and I, two souls seeking refuge one in the other, evenly sharing everything, even the chilling effect of the downpour. Did I tell you that I hate rain? I was lying! At that particular moment, I actually adored it!

What is the point of walking, running or jogging together; getting scared of the same things? Of sharing passion for the same things: the Boston basketball team, the Dodgers, Sir Laurence Olivier, Ella Fitzgerald, Mozart's Piano Concerto No. 24, and all Mozart's works?

Why these things in particular? Now I can see why! The Boston team is an all-time winner. Lawrence Olivier is a crowned king. Ella Fitzgerald is an angel's voice accompanying the Mass, the voice of the grieved in cotton fields, and of the tormented in "Sing Sing" and "San Quentin" prisons. Mozart? Well, despite his premature death at the age of 35, he contributed masterpieces and musical marvels.

But look at us, you and me! We were defeated even before we could start! Yes, we were defeated the moment we admitted that society would hate to see a white girl in the company of a black boy. We took that for granted and failed to stand up against it. "Were we in the American south," you once said, "we would have been beaten and tortured. A few years ago, you indeed could have been hanged from a tree! As for the West, it is hypocrite; smiling at us pretending to bless our relationship while secretly cursing it. Do you see the difference now?"

But I can hardly see any difference between the South and the West. It all translates into the same thing. Love would only survive, grow and blossom in an atmosphere of freedom. But here in the West or down there in the South, it stands little chance of survival. It is destined to die, and it really makes little difference whether it is cursed to death or sent to the gallows.

Now I know why we were defeated. So I picked up my bags and left, heading further than you would have expected. I landed in my homeland deep there in Africa. At this particular moment, when the entire place around me is shrouded in darkness, it is bright daylight in California, on the sandy beach of Saint Monica, tea and coffee at the "Golden Crown", and a thousand other things!

I picked up my bags and left. You know how beautiful the moon is, shining on the sands of Santa Monica beach. But tonight, here in my

homeland, it is totally absent. What a misery! What misfortune has put between us thousands of miles of deserts, mountains, valleys and seas!

Congratulations! Dear Jennie Anne. It's great you have picked a husband from your own folk, one who has the same complexion as you. It's great you have made up your mind about something. This is the first time I write you a short letter, ending our affair.

I tried hard to get you out of my mind. But tonight it all came back to me. Was it because of Mozart's Piano Concerto No. 24 I listened to? Could it be that the defeat was too bitter and hard to swallow? Whatever the explanation, I decided to write you, a human being writing to another human being.

The stamps on the envelope are black - the colour of defeat is still holding! Inadvertently, I tore up my letter but almost momentarily started rewriting it in my mind countless times. I will keep reciting it to myself and will keep it to my mind. I will never let it reach you lest it bring suffering on you and on itself.

Good Bye!

Abdel Qayyoum's Retaliatory Campaign

By Bushra Alfadil

Halt! Jets of the red fluid are gushing out of all entrances and exits- as well as from the dented abdomen. Have you ever squeezed a piece of tomato onto the eyes of your neighbour in a public restaurant? Thus was how the body of Abdel Qayyoum looked after an ill-omened moment had caught him on the road- on foot, although he had been a constant rider throughout his life. While everyone else, as they say, screams three times during the course of his whole life, Abdel Qayyoum's screams were countless: at demonstrations, at fights, and one last time when a dark-coloured truck hit him that evening.

As a child, every morning his mother would send him to the souk on errands and he would come back loaded with oil, sugar, and dreams of travelling to destinations far away. The sound of cars was music to his ears.

- Trnn rnn trnnn trnn..rnn..

He would approach his favourite car and sing her praises more erotically than the Arabian poet Ibn abi Rabieea had done in his romantic poems in praise of his girlfriends.

Abdel Qayyoum was not particularly interested in wheat, like the sons of Hajj Eltoum, or in beans cultivation, like the sons of Zakiyah. Nor had he a passion for swimming like Khalifa, son of Hasabllah. He was rather captivated by the fancy world of trucks. One day, a truck, loaded and ready to take off, invited him and he couldn't resist the temptation. He approached the driver and a deal was struck: The driver would allow Abdel Qayyoum to travel with him free of charge; the only thing Abdel Qayyoum would need to do in return was to place metal sheets under the truck's tyres whenever they got stuck in a sea of sands.

"How can you elect to work in this iron business, son? Can't you see it's unsafe? May Allah give you guidance."

"If you want what's best for me, father, just give me your consent and pray for me. Look how many are working in this business. Nothing has happened to them."

He was determined, and nothing could have deterred him; that was not unusual at a time of fading patriarchal authority. His father's farewell words sounded as if they were coming out from a deep well. His mother bid him farewell with a plateful of food for the road and a plateful of tears. And they both returned to a house that not many rats would care to call home. For months, Abdel Qayyoum kept going and coming, like a bull hooked to a waterwheel, except that he would make the round in three days rather than three minutes. Yet the tears, the prayers, and the plate of food never stopped.

During one of his visits, he informed his parents that he had learnt enough to get a permanent job. This time, he announced, would be the last of the weekly shuttle trips. Work opportunities were abundant in Khartoum and he was determined to take advantage of that. No response except heavy tears and prayers from heavy hearts.

A month later, Abdel Qayyoum sent three pounds to his family. Two months later he sent two and a half pounds. Thus the amount kept diminishing the more adapted he grew to his new life in the city. Yet, the devout prayers of his parents never waned.

Then came that day when the truck hit him. Passers-by gathered around the body. The perplexed driver who took refuge inside the truck cabinet looked from behind the windshield like a mannequin on display on a store window. People yelled and spat at him. He was trembling, venting out the exasperation of the crowd through his chattering teeth.

Yousif Siddig said: Abdel Qayyoum’s wife came down howling:

“Woe is me! O, my partner: Who will take care of Nayla and Saad after you? O, my eye vision, my life pillar- Woe is me!“

Bakheet said: “Police came and covered the body. After taking measurements at the scene, they ordered the truck driver to follow them to the police station.”

“People are saying he will not be charged,’ Bakheet said. “He will soon be acquitted.”

Funeral rituals in this city were performed as dispassionately as any routine job, and Abdel Qayyoum’s burial was no exception. As a young

boy, he was expert at designing models of small boats which he offered free of charge to his close friends and for five piasters to the rest of the village boys. He would spend the entire day making them. While others would spend their leisure time swimming from bank to bank or reading, Abdel Qayyoum's enduring fascination was with one particular metal: iron.

At the khalwa, the sheikh of the Quranic preschool would charge him with fetching water for the donkeys, climbing the palm trees to bring him ripe dates, or saddling the donkeys for guests. So while the Khalwa experience was perfectly pleasant to the sons of Hasaballah and the others, it was awfully painful to Abdel Qayyoum who alone had to endure its ordeals**.** Abdel Qayyoum was a victim, just like the dog of the Companions of the Cave, which had been made to go on an unusually long sleep that carried no particular benefit for it. His period at the khalwa ended with a scream from a blazing whip. And Abdel Qayyoum's screams were beyond count.

He lent a hand to his father as working farm labourers on a land that was not their own. In other instances, he tainted the exterior walls of houses with dung and instead of being punished, he was rewarded, although the payment was always too tiny to bundle in the tip of his jallabiyah.

When boys his age were lured by girls with beautiful eyes, his sole source of captivation was the eyes of one particular car: "The Bedford, man! Allah Kareem.. Allah kareem!" he would intone in a clumsy rhythm and a tone of one who had long submitted to destitution.

His mother once sent him a parcel of dates. He was as relieved as a passer-by who had been unexpectedly pardoned by a ravenous dog. He opened it and smelled the content. And when he rubbed on it with his palm, he burst into tears. So his nostalgia drove him back home where he got married to Sakina, a woman who was the direct opposite of the meaning of her name, which stood for serenity. While still in her wedding dress, she started to play havoc with his life. Her ambitions were unquenchable and she was belligerent but she nevertheless loved him, albeit in a very strange and outlandish way.

She was a captivating narrator. Her neighbours would abandon their favourite TV programmes and come down to listen to her. When she narrated, the moon would come out, and the domestic animals and climbing plants would chuckle in delight. Her tales would send her

neighbours on successive fits of rowdy giggles. They would go back home only upon hearing Abdel Qayyoum's familiar, exhausted knocks on the door. Sakina would open the door and would devote herself to him for the rest of the night – she gave birth to Nayla and Hassan. Hassan died shortly after birth, though. Then came Saad. And there was one more on the way.

There was a bulldozer whose driver was taking it back to the company's yard after a long day of hard work. The driver pushed on the accelerator, the bulldozer moaned and groaned. Another push- the bulldozer threw out all the gasoline it held in its stomach just as a drunkard would spew up. The driver put it in the reverse gear. It moved. He put it again in the forward gear. It baulked. The infuriated driver pushed it backward at high speed and it strode onto a cemetery and hit a grave. The terrified driver dismounted and took to his heels, leaving behind the deaf-mute machine. As crickets and frogs were alternating as musical entertainers for the dead, there seemed to be some motion inside the perforated grave.

A skull peeped out of the grave opening, looked around and then quietly retracted its head inside. The skull peeked out again. It didn't see the burglar who was hiding his catch in a nearby grave. Nor did it catch the dawn breeze or hear the sound of the azan calling to prayers in an Egyptian accent. The skull was perforated on the forehead, exactly where the gold crescent pendant would be attached to the forehead of a bridegroom. Like the bone of a tilapia fish, the skull neatly pulled out of the grave, followed by the remains of the skeleton of a creature once known as Abdel Qayyoum. Causing an inevitable noise, the skeleton walked- trakh..trakh - toward the bulldozer.

Abdel Qayyoum was fuming with rage, and when he mounted on the huge bulldozer, the opening in his forehead was yowling: Waoooa..wooa.. waa!, as polluted air and rage mixed inside. The djinn said: "Go ahead, o bulldozer." The light said: "Hurry up, o bulldozer," Abdel Qayyoum said: I am coming, o streets." - Wa… woo..!

The weird machine moved at the first signal from Abdel Qayyoum, who had woken up before the Resurrection Day.

There was heavy traffic that morning and the streets were packed with cars: yellow, red, green, no-car cars, and non-black cars. The veteran driver Abdel Qayyoum was astonished to see all traffic running on the

right side of the road. The traffic police was no less astonished to see a bulldozer being driven by a fleshless skeleton. Too late to escape: here was a bull on the loose and everything on sight was a target for his imminent raid.

Abdel Qayyoum was fuming. Why wouldn't someone care to tell them of developments on this globe?

Wa wooowa..wa..

He went about running over the human potatoes packed inside cars trapped in the traffic jam. Those at the end of the queue were reluctant to abandon their fancy Mercedes cars and so their reluctance cost them their lives.

Abdel Qayyoum spent the whole day mashing and crushing, and the ghostly bulldozer kept squashing along, unhindered by barricades, gun shots and tank shells. Nor did it run out of petrol, and all bullets failed to gain access to Abdel Qayyoum's mummified body that was fuming with open-sided rage, immortal and infinite rage.

Craning her head over the perimeter wall overlooking the street, Galeelah was too terrified to notice that her child that she was holding to her waist slid down to the ground. "Bismillahi, My sheikh, I implore you to come to our rescue," she screamed.

From his position on the minaret, Sheikh Habeeballah watched the scene. He shouted on the microphone: "I bear witness that there is no god but Allah. O Muslims, repent to Allah! The Antichrist has appeared!"

A man wearing woody glasses was walking with a friend – both had narrow beady eyes. "This must be Don Quixote, waging another fight against windmills," he said to his friend.

Abdel Qayyoum was fuming with rage, like a victim of the Tel al-Zaatar massacre. "Bastards! How could you kill me before I had time to enjoy my life? You are going to regret it!"

At the peak of his rage, Abdel Qayyoum pushed the accelerator yet further, sending his vehicle at astronomical speeds, and after wiping out all the houses and buildings on the way, he turned eastward to vent his anger in the Nile.

As always, the Nile was warm and hospitable, all-accommodating and a soothing source for everyone. The bulldozer and its driver sank deep and a finless fish told her friends about a perforated skull uttering a bugh bughbugh sound. She claimed that when she went inside, she couldn't find any flesh that would help her develop fins. Her friends laughed and went with her down to see for themselves. They made an exhaustive search around, underneath, over and upon the bulldozer and its driver. But only bubbles of anger kept coming out of the two bodies that were fused together intimately.

The Other Woman, My Mother, and I

By: Abdelaziz Baraka Sakin

I am fifty years old now, exactly my mother's age when she died thirty years ago. But I am not talking about her now as part of commemorating the 30th anniversary of her departure, just as people tend to mark the death anniversary of their beloved mothers. Of course I too love my mother, but I am talking about her because I have been completely obsessed with her. I say obsessed, and I mean it. Although she had died more than a quarter of a century ago, I never felt she was dead, because she actually isn't. She had taken a long, eternal leave from life's endless preoccupations, and particularly from me, her only son and companion in sorrow and joy. But it didn't take my mother long- only thirty years, to be exact- to call off her leave. And thirty years, as you know, is not really long by the standards of the dead; some people believe their state of death might last forever.

A few days ago, after a long day at the primary school, where I worked as principal, and a boring evening at the teachers' club where I spent hours playing cards and chatting, I was really exhausted when I got home, where I lived alone. My eldest daughter had got married earlier this week and travelled abroad with her husband, just as her two younger sisters had done in the last two years. My wife too had got married more than ten years ago to a man believed to be her first lover. Of course this happened after she had obtained a divorce verdict from the religious court, claiming that I had been a useless man and husband and she couldn't stand me any longer. But Allah only knows that I am by no means a despicable person. The proof: all my three daughters chose to stay with me and refused to accompany her to her father's house and on to her new husband's. So which one of us is the despicable one?

But this is a subject that I don't like to get into. After all, she is the mother of my three daughters.

I was so exhausted I hobbledto bed. I threw my body onto the mattress, my kind, softhearted mattress that was the last possession remaining to me after a mother, a wife and two girls- and my only source of compassion that embraced my scrawny, emaciated body. My tiny,

energy-efficient Chinese lamp that sent a faint light always remained on till the morning. I almost closed my eyes when I heard the scraping of a chair on the floor. With the aid of the austere Chinese neon light, I saw a young woman dragging the chair towards me. She sat close to my head and stared at me with unmistakable affection. Although this should have frightened me to death, I found myself saying in a welcoming tone:

“My god!My mother Amna?”

The softhearted, pretty young woman smiled. She then started to talk quietly, narrating endless anecdotes of my life since birth, minute by minute, second by second. I listened attentively, overwhelmed with astonishment, as if the subject of the story and the listener were but two aberrant parallels of me. I was discovering gradually that my entire life had been mired in sins, that I had been heavily indulged in worldly delights, although some incidents clearly credited me with nobleness and kind heartedness. I can’t say exactly how long she remained by my head, narrating her accounts, but she surely stayed for quite a long time. I don’t know how many tales she narrated, but there were surely many. I don’t know when I finally fell asleep, but that obviously happened quite late because I didn’t wake up at 4 am, as usual, and as all school principals did. It was the dumb school watchman who woke me up during the breakfast break, around 10:30 am. I understood from his mumblings that all the staff had become worried about my absence. Only one sentence of my mother’s talk was still lingering in my head:

“I am with you every day, minute by minute.”

I refrained from telling anybody what had happened between me and my mother, for fear of mockery and gloating. I might be accused of insanity- and might well lose my job if the Administration could prove me insane. I did have many enemies who would rejoice if I were to lose my job.

So I kept it to myself.

I received a call from my eldest daughter, Ammoona – I had named her after my mother. She was asking about my health and wondering how I was managing to lead my life alone. She suggested that I should remarry. “She doesn’t have to be a young lady,” she explained. In her judgment, I needed a companion to defeat myloneliness. She went even further and recommended a particular lady, forty years old, pretty and divorced,

mother of two children. I pretended that I didn't get the message, maybe because I didn't feel like remarrying. To me, a woman is a beautiful creature that is good for anything but marriage.

In the evening I was ready for another meeting with my mother. She came, glitteringly beautiful and bursting with vitality, dressed in cheerfully colored clothes.

"You look ready tonight," she remarked.

A strange idea sprang to my head and I started to act on it right away. Typical of me, ideas always find their way fast to my fingers. I stretched out my fingers towards her, groping about for her clothes. But I could grab on to nothing but air. She disappeared; her voice came to me from the remotest parts of the room:

"I am but image and sound. Just image and sound," she said in a sweet tone that years under the ground failed to distort.

"I hope I am not hallucinating," I said to her.

"I have always been close to you," intoned the same voice that I had known perfectly well since childhood.

My mother and I were intimate friends. We have been through years of hardship and years of joy. I am also her only son, and haven't known a father so far. Since I came to this world, I opened my eyes to a tenderhearted energetic creature moving around relentlessly like an ant in pursuit of a grain of food to share with me. She was able to meet invariably all my demands, no matter how difficult they might be. I remember having once asked her to buy me a bicycle, just like my school mate Abbakar Is'haq's. I still vividly remember how she reprimanded me and in a blind fit of agony hurled an object she was carrying at my face.

"Whose son do you think you are? Sadek El Mahdi's?" she shouted angrily.

Of course I was not sure who Sadek El Mahdi was, but her question begat another: whose son am I?

Yet I didn't pose that question to her because it was not particularly pressing to me. I haven't come to appreciate the value, importance or

even the function of a father so I never missed him. And none of those many fathers in our neighborhood did anything extraordinary that was beyond my mother's capability. Conversely, it was my mother who did things that fathers couldn't do. She would build and mend our home with her own hands, build earth dams to fend off rain water away from our hut, built on the edge of a water stream. I have never seen a father do this. To my bewilderment, they would hire workers even for trivial jobs such as making their own bed covers and mattresses and doing their laundry.

In addition to all this, my mother had an extra job beyond the house boundaries: selling tea and coffee by the prison gate. Everyone- including the commissioner himself- borrowed money from her. That was why I was confused. But now I understand from my mother, for the first time, that one of the responsibilities of an ambiguous father named Sadek El Mahdi was to present his children with bicycles.

Yet, the father question was put to ultimate rest about three months later when my mother Amna managed to buy me a bicycle. Although it was second hand, not as brand new as Abbakar Is'haq's, I was thrilled to have it; particularly after my friends assured me it was beautiful, even better than Abbakar's.

My mother makes zalabiya[6] and at dawn I go about selling it to neighbours. After this, she does janitorial work at the prison. Later on, when she abandoned this latter job, she sold tea by the prison gate, effectively turning her old workmates into clients.

I, on the other hand, was one of those boys who were dubbed 'Mummy's Boy' for being too attached to their mothers. After school, I would come straight to her workplace to assist her with washing used tea cups, delivering orders to distant clients, and buying her sugar and tea from the grocery and, in the intermittent breaks between these errands telling her about my lessons and teachers. When I felt sleepy, she would spread a carpet made of palm leaves in the space right behind her for me to stretch my little body, using the school bag for a pillow, my beautiful bike standing by close to my legs, waiting for me.

I dared to ask her: "Where are you now? In Paradise?In Hell?In the earthly world? And where have you been all this time?"

[6]A locally made doughnut.

“I am here,” she said.

Sitting on the chair, like she did on the first day, she asked me about the justifications behind all the acts that I had done earlier today. I gave her truthful answers to which she commented sometimes but kept silent most of the time. Generally, however, she kept asserting that it didn’t matter if what I did was good or not: what really mattered was whether or not I saw justification for what I did; whether or not it gave me self-satisfaction.

“How do you feel about your daughter Ammoona’s suggestion?”

“I am too old now to have a desire for women,” I said. “Besides, I am able to take care of my food and personal things. I have only one woman in my life: you! and you alone. That’s more than enough.”

A pleasantly deep smile covered her face, before she gradually dissolved into the room’s air. Early next morning, my daughter Ammoona called once again, this time announcing bluntly that she would arrange for me to meet a forty year old lady, pretty and divorced, mother of two, and that it was totally up to me to decide if I wanted to ask her hand in marriage.

“What are you going to lose?” I asked myself. “Let it be.”

She was pretty, with a permanent smile on her face. She didn’t seem to need an excuse for laughing, as she was always laughing and could persuade anyone, even the most sullen, to reciprocate her lovely smile, even with a soft one. But what was strange and astonishing, even scary, about her was that she was wearing the same clothes my mother Amna wore last night; the same pair of shoes, the same voice, the same accent, the same face, the same smile, and, I can say, the same woman.

The Return of Grandma Wardeh

By Kamal El Gizouli

(1)

I stayed up late one night reading the memoirs of the Columbian novelist Gabriel Garcia Marquez**.** In the part about the sources of his inspiration, he made a particular reference to a story about a village girl

who had flown to the sky while hanging bed sheets on a clothesline in their garden. Shortly after he had heard this strange story, it turned out that the girl had actually run away with her lover; the talk about her flight to the sky was mere fabrication by her family to avoid social disgrace. Yet, when Marquez sat to write a novel around that story, he found himself disregarding the true story in favour of the fabricated version. A girl fleeing with her lover is no news, but how often does a girl fly with her bed sheets to the sky?

……

As dawn approached, my head felt so heavy that I put the book aside, switched off the light and pulled my covers. Just as I was drifting into the slippery ground between consciousness and sleep, memories from the distant past forced their way into my mind and plucked me out of bed onto the writing table.

…….

En-Nihud, winter of 1952

It was almost one year since we had departed from Omdurman for the first time, heading westward in the company of our father, may Allah rest his soul in peace, who had been transferred to work as medical assistant at the government hospital of this small town nestled at the heart of the Kordofan desert. My younger sister, Ameera, and I were still shy of the school age.

There we lived in a distinguished quarter, adjacent to a spacious square with a few permanent shops scattered around. That square played host to a special “souk day” once a week. Only a few of the residents of that quarter were native inhabitants, the majority being families, like us, who came from different parts of the country: transferred government employees or jellaba traders in livestock and crops. Some came from the capital, but the majority were from upper and lower Sudan. Their faces were marked with different tribal scars, and they spoke different languages and dialects. Nevertheless, they lived as a closely-knit community.

Like most houses, ours was large, with spacious rooms and an extensive courtyard lined by lime, henna and flowery shrubs while in the middle stood a huge acacia tree. Our house overlooked a wide sandy road and it was not a rare occurrence in the dry season to see flocks of ostriches running past, terrifying us with their wild expressions and combat-ready bills. In the rainy season, the road overflew with flood waters pouring

forth in torrents from distant valleys, driving along all items one can or can't think of: firewood, grain sacks, household utensils, fragments of tents, frond and hair mats, pieces of furniture, animal corpse– you name it.

Two or three houses away stood a house that was different from the rest of the quarter, with its markedly large pen, stench of livestock, and crammed rooms. That was the house of grandma Wardeh. She was in her fifties, markedly obese, moderately tall, the colour of coal, with a huge bottom, broad chest, short hair, snug nose, lofty forehead, reddish eyes, and thick lips. She didn't say much, but was always wearing an enigmatic smile. She had a corps of sons, daughters and grandchildren as well as a big herd of livestock with inflated udders.

Every morning, we, the children of the quarter, would scramble towards her house, hardly able to distinguish her from the plump cows. She sold us fresh milk and warm fresh doughnuts as she lay on her short wooden-frame bed, almost naked except for a ragged dress that frequently slipped away, exposing an oily glossy body and hair like tiny peppercorns, soaked in thick cream. Always silent like a magnificent ebony statue, she never grumbled at our flurry which prevailed over the sound of the huge wooden-framed radio on full volume placed on the window of a nearby room, broadcasting recitation from the Holy Quran by Sheikh Awad Omer, the news bulletin read by Mohammed Salih Fahmi, and popular songs by El Kashif, El Tag, Asha El Fallatiyah, Abdul Hameed Yusif, Ahmed El Mustafa, Hassan Attiyah and others.

(2)

Life in the quarter carried on peacefully and uneventfully. Until one day when we awoke at dawn to deafening wails coming from the direction of grandma Wardeh's house. Wails mixed with nightmares that had evolved from dreadful images that we had seen reflected in the trembling lights of the kerosene lamps. That combination sent shivers down our spines until we woke up to the voice of our mother, may Allah rest her soul in peace, talking to her neighbour over our short perimeter wall:

- "They tried to wake her up but.... Oh dear! I hope this will not reach the ears of any pregnant woman[7]!"

[7] Referring to a popular belief that any pregnant woman who happens to hear unpleasant news is likely to miscarry or even die.

- "Oh dear! Let the good wind blow it away, through wide open doors," the neighbor responded.

Suddenly the voices of the two women subsided into inaudible whispers out of which we could figure out only the words: tarab albenayyah[8]

Deep grief befell the entire quarter; including her wailing cows, and her now dead silent radio. We, the youngsters, grieved her death more than the elders did. We followed her funeral to the cemetery along with the men, scrambling under their legs like puppies, and staring with fear-stricken eyes as she was laid to rest inside the grave, bricks stacked across its opening, and then earth hurled down with the help of a wasoog[9]. Once the pit was made into a rectangular mound, they wedged two big stones at the head and the feet. They then sprinkled some water over it and recited Al Fateha, the opening chapter of the Holy Quran, once. Then the Ikhlas[10] chapter, eleven times. On the way back we ran after the men like orphaned, chilly young grouses, almost bumping into their legs. On our cold-chapped faces tears carved sticky streams that also carried an incessant flow of nasal fluids.

…….

The men's mourning rituals came to an end after three days, but the women remained. For us, the youngsters, grief faded away faster than it did with the elderly. So the women's gathering at grandma Wardeh's house soon became our favourite meeting place and the theatre of our mischief and clamorous fun. We would go there with our mothers each morning and get back around noon, before our fathers had returned from the first shift at work. In the early afternoon, we would rush back with them and stay there until after the late evening prayers. Some unmarried ladies organized themselves into shifts whereby one or two would stay overnight, as a gesture of support for the deceased's daughters.

One thing was spoiling our enjoyment of the great change brought about by the sudden death of grandma Wardeh. No two women would sit in a corner without engaging in ambiguous whispers, intercepted by the words "tarab albenayah", unbothered by our presence near them,

[8] *Tarab albenayah* and *ba'ati* are local words referring to humans who purportedly return to life after death, according to local myth.

[9] A kind of a rake used in farming as wellas in burying the dead.

[10] Ikhlas means devotion of one's worship and belief to the only One God, Allah the Almighty

eavesdropping. We often overheard words no less weird such as "coffin scent", "nasal tone", and "rustling sound of burial shroud"!

We noticed that the daughters of the late grandma Wardeh were keeping a close eye as well, and it didn't escape us, even at that young age, to see how embarrassed and tense they were. Night after night, we stayed up late trying our best to unfold the secret behind the mysterious whispers, embarrassment and anxiety. However, exhaustion would soon carry us on cushioned waves to drowsiness and on to a deep slumber, where the boundaries between consciousness and unconsciousness blurred. Then came that night!

…….

We went home as usual after the last evening prayer, worn out and dusty, after a long day of fun and play at the deceased's house. We bathed and had our dinner but as we went to bed a terrified female scream pierced the silence, reaching us from the direction of grandma Wardeh's house. It was followed by a series of shocking feminine shrieks. We overheard male voices in rising tone, metal utensils colliding, glassware smashing, frightened steps taking to the street, and bodies jumping over the walls. Shortly after that, we overheard the deceased's eldest son, who had come from Khartoum, where he worked as a driver at the Power Company, to receive condolences.

"Get out," he yelled with a heavy tongue turned numb by alcohol. "Get the hell out of here, clumsy women! Next time I see any one of you here I will break her leg. I swear. My wife will be divorced if I didn't!"

…….

Of course we couldn't fully grasp what happened that night, but in the following days we started to hear dozens of versions. No less ambiguous, those tales inflamed our young imaginations. We would spend long hours under the acacia tree, breaking them down and restringing them, giving free rein to our wild imagination. Although we were consciously adding and fabricating, we found ourselves strongly engrossed in that exercise to the point of shivering, turning our heads in real terror with welled up eyes.

…….

In effect, that incident put an end to the protracted memorial gathering just as it did set the stage for grandma Wardeh's possible return- at any moment! So the flow of visitors stopped and the deceased's family kept

themselves very much at home, visiting no one and being visited by no one. Even their children no longer played with us. From that day on, it was obvious that our quarter had changed forever.

(3)

Two months later, we had put that whole matter well behind us. One "souk day", carrying a small basket made of coloured strewn frond that my maternal grandmother had brought me from Omdurman during her last visit, I pushed through the crowd, my little baby goat on my tail. I was heading to the place where fresh nabag, the golden to reddish wild fruit, was offered for sale. Having located the best pile of the fruit, I went down on my knees, extending my basket and a two-piaster coin to the seller, my eyes fixed on the glowing gold:

"Can I please have some, ma'am."

"How much?"

The nasal tone and the coffin scent invaded me almost simultaneously. Like a film being run on slow motion, I started to raise my head gradually as each inch in my body went numb. My eyes fell on the splendid ebony-figure, markedly obese, moderately tall, coal-black quinquagenarian, with her huge bottom, broad chest, short hair, snug nose, lofty forehead, reddish eyes, and thick lips. There she was, lying on her short wooden-frame bed, her burial shroud making a rustling sound, hardly covering her oily glossy body and her hair punched into tiny peppercorns, and soaked in thick cream. I let out a terrified scream that thundered across the souk. I lost consciousness immediately.

…….

(4)

I must have remained unconscious at the hospital for several days, so I gathered from the conversation of our lady neighbours who squatted on the ward floor around my bed. I managed to discern their voices as I gradually started to regain consciousness. From their chatter I also came to understand that the moment my eyes had fallen on her I started shouting out her name so loudly I almost pierced my throat and chest. Then I fell unconscious. People gathered around me. A barber, who was a friend of my father's, recognized me and rushed me to the hospital.

Yet the most perplexing statement in all the women's chatter was the so-called consensus among all those who had been at the scene,

including the barber, that they definitely hadn't seen there a markedly obese ebony figure in her fifties. Rather, they swore, it had been a shabby Bedouin girl who came on each 'souk day' to sell her stock of nabag, laloub and tabaldi. Terrified at my reaction, she took to her heels, leaving behind her modest merchandise and few pennies!

Despite that, the quarter inhabitants added that incident as an additional gear to an engine that never ceased to crank out stories, in different languages and dialects, about the return of grandma Wardeh!

***